تعد اللغة وسيلة من الوسائل التي يعتمد عليها الفرد لقضاء حاجياته وتنفيذ مطالبه في الوسط والمحيط الذي يعيشه به، وبها أيضا يناقش ويستفهم وينمي ثقافته كما بواسطة هذه اللغة يؤثر الفرد في الآخر، ويستثير عواطفهم ويؤثر في عقولهم كما أنها تعتبر مستودعا لتراث المجتمعات والرباط الذي يربط بين الأفراد والجسر الذي تعبر عليه الأجيال للانتقال من وضع إلى وضع آخر.

فاللغة إذن تفعل ويُفعل بها، ومن خلالها وفيها، فهي تعبر عنها على اعتبار أن الفرد مخبوء تحت لسانه فإذا تكلم ظهر على حد تعبير الإمام علي كرم الله وجه كما أننا نتكلمها وتؤثر فينا كما نؤثر فيها.

فللمتكلم أن يعبر عن قصده من خلال شكل اللغة التي يستعملها مباشرة وذلك وفق ما يتطابق مع معنى الخطاب، كما يمكن أن يستعمل التلميح وبعض الأساليب غير المباشر لإيصال المعنى المرغوب ولكن باستخدام الخطاب المناسب للسياق فتنتج عنه دلالة يفهمها المتلقي.

ومن بين التقنيات التي قد يستند إليها المتكلم أثناء استعماله للغة نجد تقنية التشبيه أو التمثيل باعتبارها إستراتيجية غير مباشرة وهي حتما تستلزم قصدا يدل عليه الخطاب.

فابن وهب قد اعتبر الأمثال وسيلة من وسائل الإبانة والتوضيح حيث قال: "وأما الأمثال والقصص فإن الحكماء والعلماء والأدباء لم يزالوا يضربون ويبينون للناس تصرف الأحوال بالنظائر والأشباه والأشكال ويرون هذا النوع من القول أنجح مطلبا، وأقرب مذهبا ولذلك قال الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلاً﴾ [الكهف/ الآية 54]، وإنما فعل العلماء ذلك لأن الخبر في نفسه إذا كان ممكنا فهو يحتاج إلى ما يدل على صحته والمثل مقرون بالحجة

ولذلك جعلت القدماء أكثر آدابها وما دونته من علومها بالأمثال والقصص عن الأمم، ونطقت ببعض على ألسنة الطير والوحش وإنما أرادوا بذلك أن يجعلوا الأخبار مقرونة بذكر عواقبها والمقدمات مضمونة إلى نتائجها" [1].

وبما أن الحديث عملية مؤسسة على مشاركة أطراف الخطاب والأساس فيه كل من المتكلم والمستمع.

وأن نظرية أفعال الكلام قائمة على فرضية أساس مفادها أنه يقصد بالكلام تبادل المعلومات والقيام بفعل خاضع لقواعد مضبوطة في الوقت نفسه، "ويهدف هذا الفعل إلى تفسير وضعية المتلقي ونظام معتقداته ومواقفه السلوكية"[2].

وأن ما يستفاد من التشبيه أو التمثيل هو إنجاز الأفعال كلامية غير مباشرة تتضح من خلال سياق الاستعمال.

فقد ارتأينا أن يعرض في هذا الفصل جانب من جوانب التداولية وهو أفعال الكلام من خلال الأحاديث النبوية الشريفة المترامية بين طيات الجامع الصحيح "صحيح البخاري" بغية بيان أن الموروث العربي اللغوي يزخر بما جاء به الباحثون اللسانيون في ميدان اللسانيات التداولية وبخاصة في نظرية أفعال الكلام وفق تصنيف جون سيرل الذي قام بوضع تقسيم أو تصنيف أفعال الكلام أو اللغة وعدها خمسة أصناف:

* إعلانيات.

* توجيهات.

* إلزاميات.

([1]) مجلة الأثر: أشغال الملتقى الدولي تحليل الخطاب، العدد الخامسة، ص 241.

([2]) محمود نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص85.

* تعبيريات.

* اخباريات.

أولا: تصنيف ج. ر. سيرل للأفعال الكلامية.

1. الإخباريات أو التقريريات Assertives:

"وغايتها الكلامية تكمن في جعل المتكلم مسؤولا عن وجود وضع الأشياء، واتجاه المطابقة في الغرض الإخباري هو من الكلمات إلى العالم (Words to World) أما الغرض الإنجازي فيها فنقل المتكلم لواقعة ما من خلال قضية معينة وأفعال هذا الصنف كلها تحتمل الصدق والكذب. وتتضمن أفعال الإيضاح"[1].

2. التوجيهات أو الأمريات أو الطلبيات Directives:

"غايتها الكلامية تكمن في حمل الشخص على القيام بفعل معين، واتجاه المطابقة في الغرض التوجيهي يكون من العالم إلى الكلمات والمسؤول عن ذلك هو المخاطب وشرط الإخلاص يتمثل في الإرادة والرغبة الصادقة، ويدخل ضمن أفعاله الإستفهام الأمر الرجاء الإستعطاف التشجيع الدعوة والإذن والنصح" [2].

([1]) سيد هاشم الطبطبائي: نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت، (د، ط)، 1994م، ص30. وينظر: محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص79.

([2]) محمد بلخير: تحليل الخطاب المسرحي، ص 60. وينظر: محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص71.

3. الإلتزاميات أو الوعديات: Commissives:

"وغايتها الكلامية تكمن في التزام المتكلم بفعل شيء ما" [1]. واتجاه المطابقة في الغرض الإلتزامي يكون من العالم إلى الكلمات والمسؤول عن ذلك هو المتكلم، وأفعاله تتمثل في أفعال التكييف، الوعد، التعهد، القسم..

"وشرط الإخلاص فيها يكمن في القصد أي في القيام بفعل في المستقبل للمتكلم وقدرته على أداء ما يلزم نفسه به"[2].

4. التعبيرات أو البوحيات Expressives:

"وهي الأفعال التمرسية عند أوستين وتعبر عن حالة مع شرط صدقها"[3].

واتجاه المطابقة في الغرض التعبيري هو "الاتجاه الفارغ لأن المتكلم في هذا الصنف لا يحاول أن يجعل الكلمات تطابق العالم الخارجي، ولا العالم الخارجي يطابق الكلمات، وكل ما هو مطلوب الإخلاص في التعبير عن القضية ويدخل في هذا الصنف أفعال الشكر، التهنئة، الإعتذار، التعزية والترحيب"[4].

5. الإعلانيات أو الإيقاعيات Declaratives:

"تكون حين التلفظ بها. وغايتها الكلامية تكمن في إحداث تغيير عن طريق الإعلان" [5].

([1]) خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية، ص99.

([2]) سيد هاشم الطبطبائي: نظرية الأفعال الكلامية، ص31.

([3]) خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية، ص100.

([4]) محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص80.

([5]) خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية، ص100. وينظر: محمد بلخير: تحليل الخطاب المسرحي، ص160.

واتجاه المطابقة في الغرض الإعلاني قد يكون من الكلمات إلى العالم أو من العالم إلى الكلمات وهو اتجاه مزدوج، أما عن شرط الإخلاص فيكفي انجازها بنجاح لتحقيق المطابقة[1].

كما أنه أعتبر الفعل الكلامي أوسع من أن يقتصر على مراد المتكلم بل هو مرتبط بالعرف اللغوي والاجتماعي[2].

وعلى هذا الأساس فقد ظهرت على يديه نظرية منتظمة الاستعمالات للغة قائمة على أسس ممنهجة وواضحة، وبما أن تقنية التمثيل أو التشبيه تسهم في إثراء الجانب الدلالي والتداولي وتعتبر منبعا للإبداع، فقد استعمل الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم هذه التقنية بصيغها المختلفة التي تخرج عن حقيقتها وتتجاوز ظاهرها إلى مقاصد أخرى يرمي الحديث إلى تحقيقها مراعاة التأدب أحيانا، وفي أحيان أخرى ترهيبا وسخرية من ضلال أولئك الذين لم يستجيبوا لأوامر الله وعصوه ولم يخشوا عاقبة جهلهم أو عصيانهم وكفرهم.

فلتبليغ الرسالة الموكلة إليه عليه الصلاة والسلام اعتمد سبلا كثيرة ومختلفة باختلاف درجة وعي وإدراك وقوة التصديق لدى السامعين، فقد كانت الأحاديث النبوية في كثير من الأحيان تتراوح بين الاخبار مرة وبين التوجيه والإرشاد مرة أخرى وكذلك النصح، وإلزامية في بعض الأمور التي لا ينبغي التساهل معها وفي أخرى تعبير عن مشاعر وانفعالات عاطفية تتراوح بين الفرح والسرور، أو بين الحزن والاستياء، أو بين الوعد والتهديد والتحذير، وقد اعتمد في كل هذا على التمثيلات والتشبيهات الحسية التي تقرب الحقائق وتؤثر في نفوس السامعين.

([1]) سيد هاشم الطبطبائي: نظرية الأفعال الكلامية، ص30.

([2]) محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص47.

وفي هذا الفصل سنحاول دراسة الأمثال في الصحيح الجامع وفق تصنيفات جون سيرل وذلك بعرض نص الحديث أولا ثم تصنيف لتلك الأفعال المستعملة مع تبرير هذا الاستعمال إلى أن نصل إلى مقصدية الرسول (ص) التداولية من هذا الحديث والتقنية (التمثيل).

1. الإخباريات:

ويتضمن هذا النوع من التصنيفات مجموعة من الأحاديث النبوية الشريفة وهي:

الحديث الأول:

(عن عبد الله بن يوسف قال: أخبرنا مالك، عن هشام بن عروة عن أبيه، عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أل الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أحيانا يأتي مثل صلصلة الجرس وهو أشد علي فيُفْصَمُ عني وقد وعيت عنه ما قال وأحيانا يتمثل لي المَلَكُ رجلا فيكلمني فأعي ما يقول") [1].

إن هذا الحديث يعد ضمن الإخباريات، وإذا ألقينا نظرة حول الأفعال الواردة في هذا الحديث نجدها قد غلب عليها المضارع وهي: يأتيني، يفصم، يتمثل، يكلمني، أعي، يقول، أما الماضي منها فيتمثل في الآتي: وعيت، قال.

إلا أنها خلت من الأمر وهذا ما يتطلبه الخطاب، مع العلم أن هذا التقسيم هو ما دأب عليه علماء النحو، فسيبويه يقول: "وأما الفعل فأمثلته أخذت من لفظ أحداث الأسماء وبنيت لما مضى ولما يكون ولم يقع وما هو كائن لم ينقطع" [2].

ووجود الأفعال في نص الحديث إنما تدل على الحركة والحيوية كما أن الأفعال الماضية قد أفادت التقرير أما المضارعة منها فتفيد الحال والاستقبال إلا أن الأفعال بكل أصنافها ذات أبعاد تداولية فلها قوة متضمنة في القول كما يقول سيرل: "أي ملأ

([1]) صحيح البخاري: كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى الرسول الله (ص)، 2.

([2]) أبو بشر سيبويه: الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، ط3، (د، ت)، ص12.

اللفظ بقوة انجازية معينة والقوة التعبيرية هي الصيغة التي يخرج بها الكلام كأن يكون وعدا أو تهديدا أو التماسا أو تقريرا.." [1].

وهذا ما نلمسه من الأفعال الآتية: يأتيني، يفصم، يكلمني..، فالفعل القضوي يعبر هنا عن تلك الحركية التي يقوم بها الرسول الكريم (ص) من تألم وعناء وتحمل ووعي لما يحدث له أثناء بدء نزول الوحي عليه.

أما القوة المتضمنة في هذه الأفعال فهي انجاز هذه الأعمال (تألم، تحمل، ووعي) ولولا ذلك لما استطاع مواصلة تقبل الوحي ولما تمكن من تبليغ الرسالة الملقاة على عاتقه، ولَما انتشر الإسلام واتسعت رقعته واحتلت جل أنحاء المعمورة.

أما الفعل الناتج عن القول فهو ما دل على ترك أثر في الواقع، ويتجلى ذلك في محبة الرسول (ص) لله سبحانه وتعالى وخضوعه لكل أوامره وتحمل الشدائد بغية تبليغ الرسالة.

ونجد أن هذا الحديث يبين لنا كيفية بدء نزول الوحي إلى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وفضل تحمل رسول (ص) للألم وكل ما صاحب هذه العملية.

فاتجاه المطابقة في هذا الحديث جاء من الكلمات إلى العالم لأن هذا الصنف يتضمن التقريريات أي أن الجمل التقريرية هي الأوفر حضورا: يأتيني مثل صلصلة الجرس، فيصم علي، وقد وعيت عنه، يتمثل لي، فيكلمني، فأعي ما يقول.

ونتوصل إلى أن الغرض من هذا إخبار الرسول صلى الله عليه وسلم كل قارئ ومتتبع لسيرته ولكل مسلم كيفية بدء نزول الوحي عليه، وقيمة التحلي بالصبر وتحمل الآلام والمعاناة والحالة النفسية التي أحس بها أو عاشها فهو الصادق المصدوق والمضمون فيما يرويه وهكذا تحققت المطابقة.

([1]) محمد مفتاح: الخطاب الشعري (إستراتيجية التناص)، دار التنوير، بيروت، (د، ط)، (د، ت)، ص140.

فالرسول صلى الله عليه وسلم في مقام تبليغ الرسالة الموكلة إليه جاءت كل أحاديثه حاملة للبعد التداولي، فقد استعمل لكل غرض أسلوبا معينا فمن بين الأساليب التي استعان بها والتي هي محط اهتمامنا؛ التمثيل أو التشبيه ففي هذا الحديث فقد شبه الرسول صلى الله عليه وسلم ألم وقوة بدء نزول الوحي عليه مثل صلصلة الجرس، أي ذلك الصوت المدوي في الآذان والحالة النفسية المصاحبة لذلك أشد من الصوت نفسه، إلا أن الرسول الله عليه وسلم قد تحمل ذلك الألم كما أنه كان يعي كل ما يقال له وما يرسل إليه من آيات الذكر الحكيم، فقد تحمل ونال –نال الكرامة وشرف المنزلة الرفيعة–.

ونلخص هذا في الشكل الآتي:

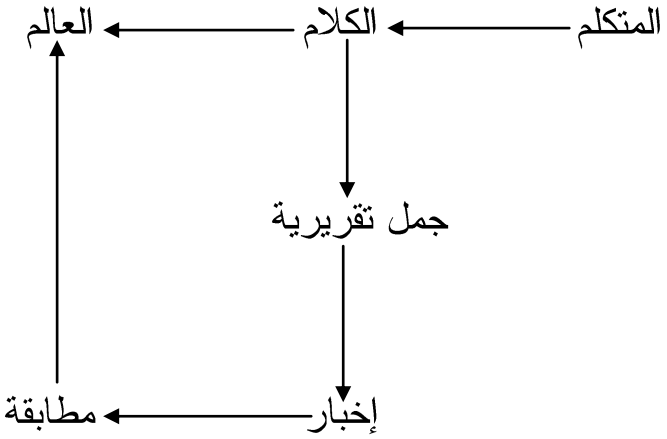

الحديث الثاني:

(حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا إسماعيل بن جعفر عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل المسلم فحدثوني ما هي؟".

فوقع الناس في شجر البوادي قال عبد الله: ووقع في نفسي أنها النخلة فاستحييت، ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله؟ قال: "هي النخلة") [1].

الواضح لنا أن هذا الحديث ينضوي تحت صنف الإخباريات أو التأكيدات والحكميات.

وقد ورد فيه الأفعال: يسقط، حدثوني، وهي مناصفة بين المضارع والأمر، وكل من هذين الفعلين له أبعاد تداولية فالفعل المضارع يفيد الحركة أما الفعل الأمر فالاستقبال وطلب حدوث شيء.

وتنوع هذه الأفعال دلالة على التغير شأنها شأن حال الإنسان فهو في تغير دائم وكل يوم على حال، يعتقد بأشياء ويتنازل عن أخرى فهو كما شبهه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم كالشجرة تسقط منها أوراق وتبقى أخرى ثابتة.

أما على مستوى الجمل فقد غلبت الجمل الخبرية التقريرية والخبر كما هو معروف عند القدماء هو الكلام المفيد أو الخطاب التواصلي الذي يقبل الصدق والكذب[2].

([1]) صحيح البخاري: كتاب العلم، باب قول المحدث حدثنا وأخبرنا وأنبأنا، 61.

([2]) مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص61.

ونجد منها:

* إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها.

* إنها مثل المسلم.

* أما الإنشاء فكان: حدثوني ما هي؟.

وقد استهل الحديث بالأداة "إن" للتوكيد وذلك محاولة إقناع المتلقي أو القارئ بقضية مهمة والداعي التداولي منه هو ما يقع في نفوس الناس من الإنكار لوجود ما هو ثابت على حال واحدة في نفوس الناس على اختلاف دياناتهم.

وقد سبق أن ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم أن المسلم فضّله الله عز وجل وميزه على غيره ببعض الخصال والفضائل وأكد ذلك مرارا وتكرارا، فالمسلم يتحلى ببعض الخصال الثابتة التي دعا الله تعالى أولا والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ثانيا إلى التحلي بها، فمهما واجهته العراقيل يبقى متمسكا بها مثله مثل النخلة جذورها ضاربة في الأرض ورأسها باسق في السماء، وأوراقها ثابتة مهما تجاذبتها الرياح وهو الغرض الانجازي من أفعال هذا الحديث أي تقريب الحقائق بأمثلة وتشبيهات حسية فهذا أسرع وأبلغ وأقرب لتثبيت الحقيقة وتوجيه الخبر.

واتجاه المطابقة من الكلمات إلى الواقع، أما شرط الإخلاص فهو النقل الأمين بأسلوب تربوي هادف إلى تقريب الحقائق.

فقد خص الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم التمثيل أو التشبيه بالنخلة لما لها من مميزات امتازت بها عن غيرها من بني فصيلتها، فهي رمز العلو والرفعة ورمز الصبر والجلد والتحدي، فاعتمد الرسول صلى الله عليه وسلم هذا التشبيه ليكسب الألفاظ معاني دقيقة ويكسب، المعاني صدقا فتقع في النفوس وهو الهدف التداولي الذي

دعا إليه الرسول صلى الله عليه وسلم وهو تبيان ثبات المسلم على دينه فما ضل من تمسك بحبل الله إضافة إلى الدعوة للتحلي بخصاله والإقتداء به.

الحديث الثالث:

(حدثنا محمد بن العلاء قال: حدثنا حماد بن أسامة، عن يزيد بن عبد الله عن أبي بردة، عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مَثَل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كَمَثَل الغيث الكثير أصاب أرضا فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجاذب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا وأصابت منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مَثَل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعَلِمَ وعلّمَ ومَثَل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به") [1].

إن هذا الحديث يعد ضمن أو تحت صنف أو تصنيف الإخباريات كذلك والذي يعد من شروطه استحضار المتكلم لشواهد تبرهن صدق ما يقره لهذا نجد الحديث يحفل بالأفعال التي تجعل هذا الحديث ينبض بالحركة والحيوية ومن خلالها يتحقق الهدف التواصلي والمطلب التداولي.

فقد غلب على هذه الأفعال الفعل الماضي وهذا تماشيا والسرد القصصي، ومن هذه الأفعال نجد ما يلي: بعثني، أصاب، كان، قبلت، أنبتت، أمسكت، نفع، شربوا، سقوا، زرعوا، أصابت، فقه، نفعه، بعثني، علم.

أما المضارع منها فتجد: تمسك، تنبت، يرفع، يقبل..

فتعاقب الأفعال التقريرية بهذا الحال جاء لغرض تداولي يفيد أو يساعد على ربط الأحداث وتسلسلها وذلك للفهم الجيد لنص الحديث.

([1]) صحيح البخاري: كتاب العلم، باب فضل من عَلِمَ وعَلَمَ، 79.

أما على مستوى الجمل فقد جاءت خبرية تقريرية بغرض إفادة المخاطب بما تضمنته وقد عد سيرل الخبر هو الغرض المتضمن في القول.

والغرض الإنجازي لأفعال هذا الحديث هو تقريب الحقائق في الغالب وذلك باعتماد أسلوب التمثيل أو التشبيه بما هو محسوس.

فقد تكلم الرسول صلى الله عليه وسلم في نص هذا الحديث عن فضل الهدى والعلم فالذي يكتسب وكأنه الغيث الكثير الذي ينتفع به في كل الأحوال فالعلم كذلك لما له من فوائد ولولا ذلك لما دعى إليه الله عز وجل وكانت أولى الآيات التي نزلت على خير وسيد المرسلين تدعوه إلى القراءة والكتابة فقد جاء في ذكر العزيز الحكيم قوله: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾ [1].

أما عن اتجاه المطابقة هنا في هذا الحديث من الكلمات إلى الواقع وشرط الإخلاص هو النقل الأمين بأسلوب تربوي هادف.

([1]) سورة العلق: الآيات 1-5.

الحديث الرابع:

(حدثنا عبد الله بن يوسف قال: أخبرنا مالك عن سمي مولى أبي بكر بن عبد الرحمن عن أبي صالح السمان عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فكأنّما قرّب بَدنةً، ومن راح في الساعة الثانية فكأنّما قرّب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنّما قرّب كبشا أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنّما قرّب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنّما قرّب بيضة فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر") [1].

يندرج هذا الحديث ضمن الاخباريات فنجد فيه من الأفعال إذا ما ألقينا نظرة على نص الحديث أغلبها جاءت بصيغة الماضي فنجد ما يلي: اغتسل، راح (5مرات)، قرب (5 مرات)، خرج، حضرت، أما من صيغة المضارع نجد يستمعون.

ومن الملاحظ على هذه الأفعال المضي وهو الزمن الملائم للسرد أو القص.

أما على مستوى الجمل فقد غلب عليها في نص الحديث معنى الإخبار، والذي غرضه التداولي تفعيل الخطاب وتسريع عملية التفاعل بين عنصري أو طرفي العملية التواصلية، ونجد ما يلي:

* فمن اغسل يوم الجمعة ثم راح فكأنما قرب بدنة.

* ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة.

* ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا.

* ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة.

* ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة.

([1]) صحيح البخاري: كتاب الجمعة، باب فضل الجمعة، 881.

فقد اعتمد استعمال أداة الشرط "من" التي تستعمل للعاقل وهي تفيد تحقيق جواب الشرط لوجود فعل الشرط ولا تدخل إلى على الفعل[1].

والملاحظة كذلك على نص الحديث استعانته بالتمثيل مع الترتيب في ذكر المشبه به طبعا توافقا مع المشبه، والغرض من هذا الترتيب المنسجم والمتناسق هو تبيان وإخبار السامع والمتلقي فضل الاستماع إلى خطبة الجمعة والاستعداد لها.

فالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في نص هذا الحديث يتحدث عن فضل الجمعة ومالها من أجر فكلما تأخر المصلي كلما نقص وقل أجره، فالرغبة والإرادة هما دافع المصلي لحضور الخطبة فهي جوهر صلاة الجمعة.

فعلى الإنسان أن يتجه إلى ربه بالطاعة والعبادة وأداء كل الفرائض لأن فيها أجرا وثوابا من رب العباد يوم تجزى كل نفس بما عملت.

والغرض التداولي من هذا الحديث هو دعوة المسلم أو المصلي وحثه على حضور خطبة صلاة الجمعة وبيان مالها من فضل لهذا جاء الخطاب في نظام منسجم ومحكم ليؤثر في العالم.

وبالتالي دفعه إلى تغيير سلوكه وفق المواقف المذكورة في النص فالانتقال من الأكبر والأعظم إلى الأصغر والأقل درجة في العظمة له هدف وغاية تربوية.

أما اتجاه المطابقة في هذا الحديث من الكلمات إلى العالم والغرض الإنجازي من هو حمل أو حث النفس أو المصلي إلى إخلاص النية في عبادة الله تعالى ودفعه إلى إتمام واتقان هذه العبادة والقيام بكل أركانها.

([1]) صالح بلعيد: النحو الوظيفي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994م، ص92.

الحديث الخامس:

(حدثنا محمد بن كثير أخبرنا سفيان حدثنا الأعمش عن زيد بن وهب حدثنا حذيفة: قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثين: رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر حدثنا أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ثم علموا من القرآن ثم علموا من السنة وحدثنا عن رفعها قال: "ينام الرجل النومة فتُقْبَض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل أثر الوَكْتِ، ثم ينام النومة فتُقْبَض فيبقى فيها أثرها مثل أثر المَجْلِ كجَمْرٍ دحرجته على رجلك فنَفِطَ فتراه منتبرا وليس فيه شيء ويصبح الناس يتبايعون فلا يكاد أحد يؤدي الأمانة فيقال: إن في بني فلان رجلا أمينا ويقال للرجل: ما أعقله وما أظرفه وما أجْلَدَهُ وما في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان") [1].

إن نص الحديث هذا الذي بين أيدينا من صنف الإخباريات.

فنجد فيه أفعالا بصيغة الماضي ما يلي: درجته، نفط، والذي يفيد الإخبار والتقرير وبصيغة المضارع فنجد: ينام (2 مرتين)، تقبض (2 مرتين)، يظل، يبقى، تراه، يصبح، يتبايعون، يكاد، يؤدي.

أما إذا تأملنا النص هذا الحديث على مستوى الجمل فنجدها تراوحت بين الجمل الخبرية التقريرية والإنشائية وورودها قليل مقارنة بقرينتها.

فنجد منها: التعجب في كل من: ما أعقله، ما أظرفه، ما أجلده.

أما عن الجمل الخبرية فأغلب الجمل تقريرية من مثل:

* ينام الرجل النومة.

* تقبض الأمانة من قلبه.

([1]) صحيح البخاري: كتاب الفتن، باب إذا بقي في حثالة من الناس، 7086.

* يبقى فيها أثرها.

* تراه منتبرا.

* يصبح الناس يتبايعون.

* فلا يكاد أحد يؤدي الأمانة.

والملاحظ كذلك على نص الحديث ورود بعض الأفعال بصيغة المبني للمجهول مثل: تقبض (2 مرتين)، يقال، وذلك لعدم الاهتمام بالفاعل أو القائم بالفعل ومصدر القول أو الخبر، وإنما المهم هو الفعل والخطاب الذي بعده، فالمهم في الفعل الأول هو رفع الأمانة وفي الفعل الثاني مضمون الخبر، وهذا لأن الفاعل ليس لب الحديث.

أما عن استعماله لأسم الفاعل "منتبرا" فهو دال على دوام الحال، ومن المعلوم أن أساليب الإخبار غرضها إفادة المخاطب بما تضمنته، ولتقريب الحقائق من المخاطب وتثبيتها في نفسه استعان ببعض أساليب التشبيه أو التمثيل لتكون أكثر تأثير في نفوس السامعين وفي توجيهها للخبر.

أما عن اتجاه المطابقة فهو من الكلمات إلى العالم وشرط الإخلاص هو النقل الأمين بأسلوب هادف.

الحديث السادس:

(حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما نِعالهم الشعر، وحتى تُقاتلوا التُرْك صغار الأعين حُمْرَ الوجوه ذُلف الأنوف كأن وجوههم المَجانَّ المطرقة") [1].

إذ ما أمعنا في النظر في نص الحديث نجد أنه من الإخباريات.

أما الأفعال التي سبحت في فلكه فهي من صيغة المضارع ونجد منها: تقوم، تقاتلوا (2 مرتين).

أما على مستوى الجمل فنجد من الخبر ما يلي:

* النفي: لا تقوم الساعة.

* الاستثناء قوله: حتى تقاتلوا قوما..

* حتى تقاتلوا الترك.

على اعتبار أن "حتى" قد تأتي بمعنى الاستثناء فتكون مرادفة لـــ "إلا" [2].

فالرسول صلى الله عليه وسلم من خلال خطابه هذا ينفي قيام الساعة إلا إذا قوتل القوم الذين لهم صفات ومميزات خاصة بهم تتمثل في أن نعالهم الشعر وقوتل كذلك الترك صغار الأعين حمر الوجوه ذلف الأنوف وقد شبههم "بالمجانّ".

([1]) صحيح البخاري: كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، 3587.

([2]) علي جاسم سليمان: موسوعة معاني الحروف العربية، ص97.

ومن الملاحظ على هذا الأسلوب ذكر العموم ثم التفصيل فيه، وهو أسلوب يدفع بالملتقى أو السامع إلى الإمعان في النظر في احتمالات عدم قيام الساعة، ثم ما هي الأقوام التي طلب محاربتها ومقاتلتها.

والرسول صلى الله عليه وسلم يسعى من خلال نص هذا الحديث إلى إفادة المخاطب أن قيام الساعة مرتبط بمحاربة ومقاتلة أعداء الله، وهو الهدف التداولي الذي يسعى الرسول صلى الله عليه وسلم إلى إبلاغه من هذا الحديث.

والغرض الإنجازي يتمثل في تقريب الحقائق وتثبيتها في نفوس السامعين.

أما عن اتجاه المطابقة فمن الكلمات إلى الواقع، وشرط الإخلاص فيها في النقل الأمين بأسلوب تربوي هادف.

الحديث السابع:

(حدثنا آدم شعبة قال وحدثنا عمرو أخبرنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كَمَلَ من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون، وفضل عائشة على النساء كفضل الثَّريدْ على سائر الطعام") [1].

نجد في نص هذا الحديث سيطرة للاسم وهو الدال على الثبوت والسكون.

أما من الأفعال التي تضمنها هذا النص نجد من صيغة الماضي: كمل ومن صيغة المضارع: يكمل.

وإذا انتقلنا إلى الجمل نجد أغلبها جملا خبرية تقريرية وهي على ما يلي:

* كمل من الرجال كثير.

* لم يكمل من النساء.

* فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على الطعام.

* إلا مريم بنت عمران.

* وآسية امرأة فرعون وهي جملة معطوفة على سابقتها.

وكثرة الجمل الخبرية يتماشى والغرض التداولي الذي يسعى الرسول صلى الله عليه وسلم إلى إفادتنا به، وهو تكريم السيدة عائشة وتبيان المنزلة الرفيعة التي تحتلها بين النساء.

فالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم عمد في نص الحديث إلى أسلوب الإجمال وبعده التفصيل، فالملتقي لقوله: "كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء" يتبادر إلى

(1) صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب عائشة رضي الله عنها، 3769.

ذهنه أن صفة الكمال لا تختص بالنساء فقد أخرجهم من هذه الدائرة، وبعد الاستثناء تتضح الفكرة وتتجلى للسامع أو الملتقي أن من النساء من كملت فبعدها ننتظر ونضع احتمالات مختلفة من أسماء للنساء اللواتي قد تكن في هذه الدائرة.

ثم ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم كل من مريم بنت عمران، وامرأة فرعون آسية فيتبادر إلى أذهاننا أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يذكر من أهل بيته لأنهن لم يتحلين بهذه الخاصية، أم لأنهن أعلى وأرقى من ذلك، بعدها يردف حديثه بذكر فضل عائشة على النساء، فشبهها بفضل الثريد على بقية الطعام لما لها من سمات ومميزات خاصة بها تجعلها ذات فضل على البقية.

فأسلوب التسلسل والاسترسال، والتفصيل والشرح بعد الإجمال ساعدا على إضفاء طابع التشويق لدى المتلقي وبالتالي دفعه إلى حركية الفكر وهذه الخاصية أو الأسلوب وسيلة تداولية تهدف إلى غايات تربوية.

واتجاه المطابقة في هذا الحديث من الكلمات إلى العالم، والغرض الإنجازي منه هو دعوة إلى معرفة فضل السيدة عائشة على النساء مهما كَمَلْنَ.

الحديث الثامن:

(حدثنا إبراهيم بن المنذر حدثنا محمد بن فليح حدثنا أبي عن هلال عن عبد الرحمان بن أبي عمرة عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم: "أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر والذين على آثارهم كأحسن كوكب دري في السماء إضاءة قلوبهم على قلب رجل واحد لا تباغض بينهم ولا تحاسد لكل امرئ زوجتان من الحور العين يرى مخ سوقهن من وراء العظم واللحم") [1].

إذا ما ألقينا نظرة حول نص الحديث فقد قل وجود الفعل فما ورد منها على صيغة المضارع: تدخل، يرى، وهو دال على الثبوت ودوام الحال، وهذا يتناسب والمقام فصفة الجنة وأهلها ثابت ورد في كثير من الأحاديث وفي كثير من الكتب على لسان خير البرية محمد صلى الله عليه وسلم.

أما على مستوى الجمل فنجدها خبرية تقريرية، تتوافق وتقرير الحقائق فنجد:

* أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر.

* قلوبهم على قلب رجل واحد.

* لكل امرئ زوجتان من الحور العين.

* يرى مخ سوقهن من وراء العظم واللحم.

* النفي: لا تباغض، لا تحاسد.

([1]) صحيح البخاري: كتاب بدء الوحي، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، 3254.

يتحدث سيد المرسلين وخير خلق الله محمد صلى الله عليه وسلم عن أول مجموعة تدخل الجنة والصفات التي تتحلى بها دون غيرها من الفئات الأخرى، فالنور يشع من قلوبهم باد على وجوههم كأنهم كوكب دري مشع ينير السماء.

تربطهم المودة والرحمة والتآلف بينهم، فالمسلم أخو المسلم لا يبغضه ولا يحسده.

وقد اعتمد الرسول الكريم أسلوب الإغراء في نص الحديث، بأن جعل الله تعالى لكل امرئ زوجتان من الحور العين، وفي هذا حث للقيام بما يرضي الله تعالى لنيل الجنة والتمتع بنعيمها.

أما عن اتجاه المطابقة في هذا الحديث من الكلمات إلى العالم.

وشرط الإخلاص يكمن في النقل الأمين بأسلوب هادف إلى تقريب الحقيقة بتمثيل حسي وهذا هو الغرض الانجازي من أفعال نص الحديث.

الحديث التاسع:

(حدثنا هدبة بن خالد حدثنا همام حدثنا قتادة حدثنا أنس عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كالأترجة طعمها طيب وريحها طيب، ومثل الذي لا يقرأ كالتمرة طعمها طيب ولا ريح لها، ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها") [1].

نص الحديث هذا يكاد يخلو من الأفعال إلا ما جاء في الفعل يقرأ على صيغة المضارع وهذا دال على الثبوت ودوال الحال لأن الاسم هو الطاغي على النص.

أما على مستوى الجمل فيغلب عليها الطابع الاخباري التقريري المناسب لغرض تقرير الحقائق فنجد:

* المؤمن الذي يقرأ القرآن كالأترجة.

* الفاجر الذي يقرأ القرآن كالريحانة.

والملاحظ على نص الحديث استعمال التشبيهات الحسية والتي غرضها التداولي تقريب الحقائق، وتثبيتها في نفوس السامعين.

فالرسول صلى الله عليه وسلم استعان بأسلوب التدرج والترتيب كذلك في الشرح والتمثيل فذكر أن المؤمن الذي يقرأ يشبه الأترجة والذي لا يقرأ القرآن يشبه التمرة، وأما الفاجر الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة والذي لا يقرأ القرآن مثل الحنظلة.

وشرح هذه الفئات بإعطاء تشبيهات حسية، أسلوب تربوي غرضه تقريب الحقائق وإفادة السامع بالخبر لأن ذلك أكثر تأثير وأسرعه وأبلغه في نفوس السامعين.

([1]) صحيح البخاري: كتاب التوحيد، باب قراءة الفاجر والمنافق وأصواتهم وتلاوتهم لا تجاوز حناجرهم، 7560.

واتجاه المطابقة هنا من الكلمات إلى الواقع وشرط الإخلاص يكمن في النقل الأمين بأسلوب واضح وجلي وهادف يبين فضل قراءة القرآن واختلاف القراءة من مؤمن إلى فاجر.

الحديث العاشر:

حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا إسماعيل بن جعفر عن عبد الله بن دينار عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلاّ وضعت هذه اللبنة" قال: "فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين" [1].

إذا أمعنا في النظر في نص هذا الحديث نجد أغلب الأفعال على صيغة الماضي المتمثل في: بنى، أحسنه، أجمله، جعل، وضعت، قال، ومن المضارع نجد: يطوفون، يعجبون، يقولون.

وقد أفادت الأفعال الماضية التقرير والمضارعة الحال والاستقبال، وكل فعل من هذه الأفعال حامل لقوة انجازية معينة.

أما على مستوى الجمل فنجد أغلبها جملا تقريرية اخبارية تتمثل في:

* رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله.

* جعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون.

أما الإنشاء فتتمثل فيما يلي:

* "هلا وضعت هذه اللبنة" وهو أسلوب عرض وتحضيض، أي طلب برفق ولين.

([1]) صحيح البخاري: كتاب المناقب، باب خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم، 3535.

وقد استعان الرسول صلى الله عليه وسلم في وصف الأنبياء بتشبيه وتمثيل حسي لتقرب الحقيقة وتثبت في النفوس، فجعل مرتبتهم مرتبة الأساس والركيزة.

ثم أردف هذا القول بقول آخر أعلن فيه أنه اللبنة وأنه خاتم النبيين وهذا فضل من رب العباد أن جعل من قريش خاتما للرسل والأنبياء.

فاتجاه المطابقة في هذا الحديث من الكلمات إلى الواقع، وشرط الإخلاص يكمن في النقل الأمين بأسلوب تربوي هادف، وقد سبق للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم استعمال هذا الأسلوب في كثير من المواقف الداعية لذلك.

الحديث الحادي عشر:

(حدثنا محمد بن سنان حدثنا فليح حدثنا هلال بن علي عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "مثل المؤمن كمثل خامة الزرع يفيء ورقه من حيث أتتها الريح تكفئها فإن سكنت اعتدلت وكذلك المؤمن يكفأ بالبلاء ومثل الكافر كمثل الأرزة صماء معتدلة حتى يقصمها الله إذا شاء") [1].

إذا ألقينا نظرة حول أفعال نص الحديث هذا نجد منها على صيغة الماضي ما يلي: أتتها، سكنت، اعتدلت، شاء، ومنها على صيغة المضارع: يفيء، تكفئها، يكفأ، يقصمها.

وورود الأفعال التقريرية بهذا الترتيب له غرض تداولي فهي تساعد في ربط الأحداث وفهمها فهما جيدا.

أما على مستوى الجمل فهي جمل تقريرية خبرية لتفيد المخاطب بما تضمنته فنجد منها:

* المؤمن كمثل خامة الزرع.

* يفيء ورقه.

* المؤمن يكفأ بالبلاء.

* الكافر كمثل الأرزة الصماء...

* فإن سكنت اعتدلت.

([1]) صحيح البخاري: كتاب التوحيد، باب في المشيئة والإرادة، 7466.

ومن الملاحظ على نص الحديث اعتماد أسلوب التشبيه أو التمثيل ليقرب الحقائق ويؤثر في نفوس السامعين واستمالة عقولهم، وبالتالي التفريق بين المؤمن والكافر وهذا ما يمثل الغرض الانجازي لأفعال نص هذا الحديث.

واتجاه المطابقة هنا من الكلمات إلى الواقع وشرط الإخلاص مرتبط بالنقل الأمين في قالب تربوي.

الحديث الثاني عشر:

(حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري قال: أخبرني سعيد بن المسيب أن أبا هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "مثل المجاهد في سبيل الله والله أعلم بمن يجاهد في سبيله كمثل الصائم القائم وتوكل الله للمجاهد في سبيله بأن يتوفاه أن يدخله الجنة أو يرجعه سالما مع أجر أو غنيمة") [1].

ورد في نص هذا الحديث من الأفعال ما جاء على صيغة الماضي: توكل، ومن المضارع: يجاهد، يتوفاه، يدخله، يرجعه.

أما على مستوى الجمل فقد كانت جملا خبرية تقريرية تتناسب وغرض التقرير للحقائق فنجد منها:

* مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم.

* توكل الله للمجاهد في سبيله بأن يتوفاه...

ونجد في نص الحديث اسم الفاعل في قوله: "الصائم، القائم" وهذه الصيغة لها دلالة دوام الحال [2].

مع العلم أن صيغة "قائم صائم" مشتقة من الفعل المبني للمعلوم على وزن "فاعل" وهي صيغة مرتبطة بمعنى متجدد بتجدد الزمن في اللفظة.

فالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في نص الحديث هذا يتحدث عن أفضل الناس عند الله عز وجل وهو المجاهد الذي يجاهد بماله وبنفسه في سبيل الله وحده دون ابتغاء الأجر من الناس، وشبهه بالصائم والقائم فأعمال كل منهم خالصة لوجه الله

([1]) صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب أفضل الناس مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله، 2787.

([2]) فان دايك: النص والسياق، ص 229.

الكريم عز وجل، وقد جعل لأفضل الناس جزاء الجنة أو السلامة، مع الأجر والثواب، ففي كلتا الحالتين هو فائز بكرم وعطاء رب العباد.

والغرض الانجازي لهذه الأفعال هو تقريب الحقائق من خلال استعمال تقنية التشبيه أو التمثيل ومحاولة التأثير في نفوس السامعين وتوجيههم، ودعوة للإخلاص في العمل من صيام أو قيام أو جهاد، واتجاه المطابقة من الكلمات إلى العالم، وشرط الإخلاص هو النقل الأمين للحقائق.

2. التوجيهات (الأنريات):

الحديث الأول:

(حدثنا مسدد قال: حدثنا يحي عن إسماعيل حدثنا قيس قال لي جرير بن عبد الله: كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ نظر إلى القمر ليلة البدر فقال: "أما إنكم سترون ربكم كما ترون هذا، لا تضامون أو تضاهون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غربها فأفعلوا"

ثم قال: "فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها") [1].

مما ارتأينا إدراجه كذلك في التوجيهات أو الأمريات هذا الحديث وذلك حسب تصنيف سيرل وغرض هذا النوع ويتمثل في محاولة المتكلم توجيه المستمع للقيام بأمر ما.

لهذا في الحديث أفعال تضمنت معنى التوجيه أو النصح والإرشاد فنجد من الأفعال المضارعة: سترون، ترون، تضامون، تضاهون، تغلبوا، ونجد الأمر في قوله: فافعلوا أي قوموا لأداء الصلاة في هذا الوقت فالأمر موجه إلى كل مصل لينفذ تعاليم هذا الحديث، ولكل شخص راغب في رؤية الله عز وجل.

فالمتكلم هنا وجه خطابا فحواه أما إنكم سترون ربكم... فإن استطعتم أن لا تغلبوا.. فافعلوا والهدف رغبة المرسل في انجاز فعل موجه إلى المرسل إليه لتنفيذه.

لذلك نلاحظ أن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم قد استهل حديثه بحرف من حروف المعاني ألا هو حرف "أما" والذي يفيد التنبيه والاستفتاح، مع أنه يكون في

([1]) صحيح البخاري: كتاب مواقيت باب فضل صلاة الفجر، 573.

الكلام كالحرف الزائد فتكون "أما" هذه تنبيها وافتتاحا للكلام وتدخل على الكلام المكتفي بنفسه[1].

وقد استعان بهذا الأسلوب لتنبيه السامع أنه بإمكانه أن يرى الله عز وجل كما يرى القمر ليلة البدر أي ليلة كماله وتمامه، وذلك ترغيبا لهم –للعباد– لأداء صلاة الفجر، وللفت السامع إلى الشيء المراد الإفصاح عنه وتأكيد أهميته أردف حرف التنبيه بأداة التوكيد "إن" لتبيان وتعظيم أهمية ما سيقول.

وأما عن جمل الحديث فقد تراوحت بين الخبرية والإنشائية تماشيا والمقام مقام الوعظ والإرشاد فالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يولي أمته الاهتمام البالغ فيعظهم ويرشدهم إلى سبل نيل مرضاة الله تعالى عز وجل والدرجة الرفيعة التي تتمثل في رؤيته عز وجل.

وقد جاء من لأساليب الإنشائية ما يلي:

* النهي: لا تضامون أو تضاهون، لا تغلبوا.

* التوكيد: إنكم سترون ربكم.

* الأمر: فافعلوا.

والعرض والتحضيض في قوله: "أما إنكم سترون ربكم" وأما هنا تفيد معنى العرض وهو طلب فيه لين ورفق من خلاله يتم استمالة قلوب المستمعين فتنقاد طائعة لتلقي الرسالة لأن في العرض السامع يستفيد من مضمون الطلب[2].

([1]) فائزة بنت عمر المؤيد: حروف المعاني المركبة وأثر التركيب فيها، أستاذ النحو والصرف بقسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب للبنات، دمام، ص2.

([2]) حورية رزقي: الأحاديث القدسية من منظور اللسانيات التداولية، ص140.

أما عن الغرض الإنجازي من هذا الحديث فالمراد منه تبيان أهمية الصلاة وخاصة وقت الفجر لذلك عمد رسول الله في خطابه إلى ربط عدم التهاون في القيام للصلاة في هذه الأوقات برؤية الله عز وجل وعن اتجاه المطابقة في هذه الأفعال فمن العالم إلى الكلمات، وتكمن قوة الفعل الكلامي في استعمال التوكيد والشرط إضافة إلى أسلوب العرض، فبهذه الأساليب بلغ الرسول صلى الله عليه وسلم الرسالة وهي الدعوة لإرشاد وتوجيه الناس إلى فضل صلاة الفجر.

الحديث الثاني:

(حدثنا عمر بن حفص بن غياث حدثنا أبي حدثنا الأعمش حدثنا خيثمة حدثنا سويد بن غفلة قال علي رضي الله عنه وأرضاه إذا حدثتكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا والله لأن أخِرّ من السماء أحب إلي من أكذب عليه وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فإن الحرب خدعة وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "سيخرج قوم من آخر الزمان أحداث الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من خير قول البرية لا يُجاوز إيمانهم حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فأينما لقيتموهم فأقتلوهم فإن في قتلهم أجرا لمن قتلهم يوم القيامة") [1].

إن هذا الحديث من صنف التوجيهيات على حد تصنيف سيرل.

فقد حفل هذا الحديث بالأفعال فنجد من صيغة الماضي: قتل، لقيتموهم، أما من صيغة المضارع: سيخرج وهي للإستقبال، يقولون، يمرقون، يمرق.

أما الأمر فتمثل في "أقتلوهم".

واختلاف الأزمنة في نص هذا الحديث يضفي عليه الحركة الحيوية.

أما على مستوى الجمل فنجد من الجمل الخبرية أو التقريرية:

* سيخرج قوم من آخر الزمان.

* يقولون من خير قول البرية.

* يمرقون من الدين كما يمرق السهم.

أما الجمل الإنشائية فنجد:

* الأمر في اقتلوهم.

([1]) صحيح البخاري: كتاب استتابة المرتدين، باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحُجة عليهم، 6930.

كما نجد في نص هذا الحديث استعمال الرسول صلى الله عليه وسلم لأسلوب التوكيد: فكان بالأداة "إن" المشددة وذلك تأكيد للأمر أي لقتل هؤلاء القوم ألا وهم الملحدون والخوارج مع تشجيع القتل مقابل الأجر والثواب من رب العباد يوم القيامة.

ونجد كذلك الرسول صلى الله عليه وسلم اتبع أسلوب الترتيب فابتدأ نص الحديث بقول عام أنه "سيخرج قوم من آخر الزمان" ثم أخذ يشرح ويفصل ويعطي مواصفات لهؤلاء القوم، ولهذا التدرج أو الترتيب بعد تداولي يتمثل في محاولة إقناع السامع وحمله على القيام بصفة القتل وذلك وفقا لإرادته واقتناعه طبعا بعد إقامة الحجة عليهم.

أما اتجاه المطابقة في هذا الحديث فمن العالم إلى الكلمات.

وقد استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم لتحقيق الغرض الإنجازي من الحديث أسلوب التمثيل أو التشبيه بمعنى أنه شبه هؤلاء القوم الخوارج والملحدين في عدم انصياعهم لأوامر الله تعالى بل نكران الرسالة المحمدية وكل ما جاء من الذكر الحكيم، وفي تلاعبهم بما جاء به خير البرية بالسهم الذي يخرج من الرمية بكل سهولة وبساطة، لذلك ختم حديثه عليه الصلاة والسلم بتأكيد عقوبة القتل مقابل الأجر والثواب للقائم بالحدّ.

الحديث الثالث:

(عن ابن عباس رضي الله عنه وأرضاه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تشربوا واحدا كشرب البعير، ولكن اشربوا مثنى وثلاث، وسموا إذا أنتم شربتم واحمدوا إذا أنتم رفعتم") [1].

وقد ارتأينا أن ندرج نص هذا الحديث ضمن صنف التوجيهات.

وإذا ما لاحظنا الأفعال التي يحفل بها نص هذا الحديث من المضارع: تشربوا، شربتم، رفعتم، ومن الأمر نجد كذلك: اشربوا، احمدوا، سموا.

أما إذا ألقينا نظرة حول جمل نص هذا الحديث نجدها على قلتها جملا إنشائية تمثلت فيما يلي:

* النهي في قوله: "لا تشربوا واحدا" والنهي هنا فيه طلب الكف عن شرب البعير، بعدها مباشرة أتبع الجملة بجملة قدم الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم فيها الطريقة المثلى والصحيحة أثناء الشرب أي التنفس مرتين أو ثلاث أثناءه.

* الأمر في قوله:

* اشربوا مثنى وثلاث.

* سموا إذا أنتم شربتم.

* احمدوا إذا أنتم رفعتم.

وفيه توجيه ونصح وإرشاد لما فيه من صالح أخلاقيا من عدم التشبه بالحيوانات واعتماد بعض سلوكاتهم وصحيا لما فيه أمراض ومخاطر قد تصيب الإنسان نتيجة لوجود الجرائم في النَفَسِ.

([1]) صحيح البخاري: كتاب الأشربة، باب الشرب بنفسين أو ثلاث، 683.

فالرسول صلى الله عليه وسلم في نص الحديث ينهانا عن الشرب على طريقة الحيوان وإكراما لبنى البشر أمرنا بتغيير الطريقة وعدم التشبيه به وإنما الإقتداء بسيد المرسلين وخير خلق الله صلى الله عليه وسلم والشرب على طريقته.

وقد وردت أحاديث كثيرة عن طريقته في الشرب، فقد كان يفصل الإناء عن فمه مرتين ويتنفس في كل مرة مع الابتداء بالتسمية والانتهاء بحمد الله عز وجل على النعمة.

واتجاه المطابقة في هذا الحديث من العالم إلى الكلمات، أما عن الهدف التداولي منه فدعوة إلى الحفاظ على الصحة والاعتناء بها كي لا يصيبها الضر فلا تتخاذل النفس في عبادة الله وعليها القيام بواجبها اتجاه رب العباد رغبة وطمعا في الأجر والثواب.

الحديث الرابع:

(حدثنا يحي بن صالح حدثنا فليح عن هلال بن علي عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من آمن بالله وبرسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقا على الله أن يدخله الجنة جاهد في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها" فقالوا: "يا رسول الله، أفلا نبشر الناس؟" قال: "إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة أراه فوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة") [1].

تضمن نص هذا الحديث أزمنة الفعل المختلفة، فنجد على صيغة الماضي: قال، قالوا، آمن، أقام، صام، جاهد، جلس، ولد، أعدها، سألتم، أراه، وعلى صيغة المضارع نجد: نبشر، تفجر، وعلى صيغة الأمر نجد: فاسألوه.

أما على مستوى الجمل فنجد منها ما يلي:

* "من آمن بالله وبرسوله وأقام الصلاة وصام رمضان، يدخله الله الجنة" وقد بدأ الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم نص الحديث بقوله في الشرط "من آمن بالله" لأن أمر الإيمان يفوق كل الأمور الأخرى، والإيمان به أولى الأشياء التي يدخل بها الشخص ويعتنق الدين الإسلامي، وبه كذلك ننجز الأعمال والأفعال التي تدخل الجنة من صيام وقيام وجهاد وغيرها من الأعمال التي لها الأجر والثواب من الله عز وجل.

* ثم "إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس": وقد كان الجواب مباشرة، وهو أمر غرضه التوجيه والإرشاد أي أن السؤال يكون من الله عز وجل وحده لا شريك له، فالمؤمن إذا

([1]) صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب درجات المجاهدين في سبيل الله، 6790.

سأل يسأل الفردوس لأنها درجة من الدرجات الجنة أعدها الله تعالى لعباده المجاهدين فوقها مباشرة عرش الرحمان وذلك لفضل المجاهد في سبيله.

* النداء: "يا رسول الله" والنداء للرسول صلى الله عليه وسلم بالأداة "يا" ليس لبعده وإنما لتجيب ذكره ومناداته.

* الاستفهام: "أفلا نبشر الناس؟" سؤال غرضه طلب المعرفة وإدراكها، أما في قوله صلى الله عليه وسلم الثاني فقد استهله بالأداة "إنّ" ذات النون الثقيلة لتوكيد ما جاء في القول الأول وتثبيت الحقيقة، والتأكيد يستعمل التثبيت الشيء في نفس المخاطب [1].

ومن بين الأساليب الملاحظة كذلك على نص الحديث: ذكر المجمل بعدها التفصيل فيه، ونجد ذلك في: من آمن بالله، وبرسوله، أقام الصلاة، صام رمضان، يدخله الجنة، ففي هذا الترتيب والتدرج غاية تداولية هي إضفاء عنصر التشويق على السامع وبالتالي الإمعان فيما سيأتي من القول ونجد كذلك أسلوب أو تقنية التشبيه أو التمثيل في قوله "كما بين السماء والأرض".

وفيه غاية تداولية كذلك تتمثل في أراء السامع والمؤمن بالجهاد لما به من فضل، فالله تعالى أعد للمجاهد في سبيله مائة درجة، بين الدرجة والأخرى ما بين السماء والأرض" وفي هذا سعة وعظمة لأجر المجاهد في سبيل الله.

وفي أسلوب الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم من شرح وتأكيد وإغراء، تمثيل نوع من إرشاد الناس وتوجيههم إلى الجهاد في سبيل الله تعالى، لما له من فضل عند رب العباد وقد خص لهم الفردوس المنزلة التي تقع تحت عرشه سبحانه وتعالى.

واتجاه المطابقة في هذه الأفعال من العالم إلى الكلمات.

([1]) مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص 206.

وتكمن قوة الفعل الكلامي في أسلوب الشرط الواردة في نص الحديث، وفيها حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على تبليغ الرسالة ودعوة المسلم وإرشاده وتوجيهه، وكل فعل انجازي له غاية تداولية، تتمثل في حث الناس على الإيمان بالله ورسوله وإقامة الصلاة وصيام رمضان والجهاد في سبيله مع إغرائهم بفضل هذا الأخير.

وبلاغة الرسول صلى الله عليه وسلم واضحة في أسلوبه التربوي التوجيهي الهادف.

3. الوعديات (الالتزاميات):

الحديث الأول:

(حدثنا احمد بن عبد الله بن علي المنجوفي قال: حدثنا روح حدثنا عوف عن الحسن ومحمد عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من اتبع جنازة مسلم إيمانا واحتسابا وكان معه حتى يصلى عليها ويُفْرَغْ من دفنها فإنه يرجع من الأجر بقراطين كل قيراط مثل أُحُدٍ ومن صلى عليها ثم رجع قبل أن تدفن فإنه يرجع بقيراط") [1].

يعدّ هذا الحديث الذي بين أيدينا ضمن صنف الوعديات وكان من أفعاله المضارع المتمثل في كل من: يصلي، يفرغ، يَرجع، يرجع، تدفن، أما من الماضي فكان: اتبع، صلى، رجع، كان، فقد تراوحت أفعال هذا الحديث بين الماضي الهادف للإخبار والتقرير، والمضارع الهادف للحركة والحيوية.

أما على مستوى الجمل فقد تضمن الحديث جمل الشرط المتمثلة في:

* من اتبع جنازة مسلم... فإنه يرجع من الأجر بقراطين

* ومن صلى عليها ثم رجع... فإنه يرجع بقيراط.

فأسلوب الشرط المستعمل في هذا الخطاب حضوره يستدعي حضور البعد التداولي، وذلك من خلال وجود شرط العمل وجوابه المتمثل في الثواب الذي يستلزمه القيام بهذا العمل.

وقد تسلسل الحديث أو الرسول الكريم في هذا الحديث في ترسيخ معنى الثواب وان إتباع الجنائز –جنائز المسلمين– من الإيمان ويُرغب الناس في القيام بهذا العمل،

([1]) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب إتباع الجنائز من الإيمان، 47.

ويحببه إلى قلوبهم فاستعان بتقنية التمثيل أو التشبيه، فشبه من اتبع الجنازة إيمانا واحتسابا وبقي حتى يُفرغ من دفنها أن له أجرا يتمثل في قيراطين كل قيراط مثل أُحُد، وما أدراك ما وزن أحد.

هذا ما أغرى به الله تعالى عباده للإقبال على هذا العمل واعتمد في ذلك على التشبيه كوسيلة من وسائل الإقناع للوصول وبلوغ الهدف المنشود الذي يطمح إليه العباد ألا وهو الجزاء والعطاء من رب العباد.

أما عن الجمل الشرطية فقد جاءت مقرونة بجمل الجواب بهذا التسلسل وهذا ما يتطلبه الخطاب وذلك لإقناعهم بتعجيل الثواب والجزاء.

وعن اتجاه المطابقة فقد كان من العالم إلى الكلمات والمحتوي القضوي تمثل في الالتزام بالثواب في المستقبل أي أن الثواب والجزاء يكون بالأجر فكل إنسان يجازى بقدر عمله.

أما عن الغرض التداولي الذي أنجزه الحديث فهو حث وتحريض العباد على إتباع الجنائز وخاصة جنائز المسلمين لأن هذا من الإيمان والقيام بمثل هذه الأعمال يساهم في توحيد صفوف المسلمين، ويدعم روابط المحبة بينهم ضف إلى ذلك جزاء من عند الله تعالى.

الحديث الثاني:

(حدثنا أبو نعيم، حدثنا زكرياء، عن عامر قال: سمعت النعمان بن بشير يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: الحلال بيّن والحرام بيّن وبينهما مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى المشتبهات استبرأ بدينه وعرضه، ومن وقع في المشتبهات كراع يرعى حول الحِمى يوشك أن يواقعه ألا وإن لكل ملك حمى ألا إن حمى الله في أرضه مَحارِمُهُ، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب") [1].

وهذا الحديث الذي بين أيدينا يمكن تصنيفه ضمن الوعديات أو الإلتزاميات، وكان من أفعاله من الماضي ما نجد: اتقى، استبرأ، وقع، صلح، فسد، أما من المضارع فنجد: يعلمها، يرعى، يوشك، بواقعه.

وعن جمل الحديث فقد غلبت الجمل الشرطية ونجد منها:

*- من اتقى المشتبهات استبرأ لدينه وعرضه.

* من وقع في الشبهات كراع يرعى...

* إذا صلحت صلح الجسد كله

* إذا فسدت فسد الجسد كله.

ومن الملاحظ كذلك على نص هذا الحديث أنه قد ابتدأ بقاعدة عامة وهي كون الحلال والحرام بيّنان، صرح بوجود أمور متشابهة في حكمها فيشكل على الناس معرفة ما إن كانت حلال أم حرام، مع أن الحلال ما انتفى العلم والظن بتحريمه

(1) صحيح البخاري: كتاب الإيمان، فضل من استبرأ لدينه، 52.

والحرام فما أكد العلم ولم يتردد في تحريمه، أما عن المتشابه فليس بحلال ولا بحرام وإنما تركه من الورع مطلوب.

وقد أفصح بعض العلماء أن المكروه من قبيل الجائز إلا أن في تركه ثوابا.

أما عن حضور الشرط فهذا فيه حضور تداولي من خلال الانسجام مع الواقع لذلك شبه الواقع في الشبهات كالراعي الذي يرعى حول الحمى والحمي في اللغة: "هي الشيء المحمي ويقال لفلان حمى لا يقرب"[1].

وعن أسلوب الشرط ففيه ربط العمل بجوابه وهو فعل إخباري لمجازاة الله عز وجل عبده بتبرأة دينه وعرضه.

كما أننا نجد نص الحديث يتسلسل في شرح وإيضاح فكرة الحلال والحرام والأمور المشتبهات مما فيه إغراء للتقيد بأحكام الله تعالى واختيار أو إتباع أحد الأمرين، إما الحلال وإما الحرام لذلك نجد جمل الشرط في هذا الحديث مقرونة بأجوبتها دون وجود فاصل بينهما لتعجيل الثواب، ونجد كذلك من الأساليب التي يزخر بها الحديث أسلوب العرض والتحضيض وذلك في قوله:

* ألا وإن لكل ملك حمى.

* ألا وإن حمى الله في أرضه.

* ألا وإن في الجسد مضغة.

فهذا التسلسل والترتيب في أساليب الشرط والعرض والتحضيض منسجم مع هدف الحديث وهو تنبيه العباد وإلزامهم بفعل ما هو بين وواضح.

([1]) المعجم الكبير: مجمع اللغة العربية، جمهورية مصر، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، حرف الحاء، ج5، ط1، 2000م.

واتجاه المطابقة في هذا الحديث من العالم إلى الكلمات أما عن شرط الإخلاص والمحتوى القضوي فهو الالتزام بشيء في المستقبل وهو عدم الوقوع فيما هو متشابه في حكمه والتثبت بما فيه ثواب من رب العباد والقيام بما هو حلال محلل نص عليه الله تعالى في ذكره هو الغرض التداولي الذي أنجزه هذا الحديث.

فالمسلم عليه بأحد الأمرين "الحلال أم الحرام" وألاّ يوقع نفسه فيما هو من المشتبهات.

الحديث الثالث:

(حدثنا مسدد قال: حدثنا بشر قال: حدثنا ابن عون، عن ابن سيرين عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه ذكر النبي صلى الله عليه وسلم قعد على بعيره وأمسك إنسان بخطامه أو بزمامه، قال: "أي يوم هذا؟ فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه سوى اسمه قال: أليس يوم النحر؟

قلنا: بلى قال: فأيٌّ شهر هذا؟ فسكتنا حتى ظننا أنه سيمسيه بغير اسمه فقال: أليس بذي الحجة؟

قلنا بلى، قال: فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا، في بلدكم هذا ليبلغ الشاهد الغائب، فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى له") [1].

ينضوي هذا الحديث ضمن الإلتزاميات، فنجد نص الحديث يحفل بالأفعال فنجد على صيغة الماضي: قال (5 مرات)، قلنا (2 مرتين)، سكتنا (2 مرتين)، ظننا (2مرتين) وعلى صيغة المضارع يبلغ، ليبلغ، سيمسميه (2 مرتين)، للاستقبال.

أما على مستوى الجمل نجد من الخبرية في نص الحديث ما يلي:

* فسكتنا حتى ظننا انه سمسميه (2 مرتين).

* إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام.

أما من الجمل الإنشائية فنجد:

* الأمر: ليبلّغ الشاهد الغائب.

([1]) صحيح البخاري: كتاب العلم باب قوله صلى الله عليه وسلم رب مُبلّغ أوعى من سامع، 67.

* الاستفهام:

* أي يوم هذا؟

* أليس يوم النحر؟

* أي شهر هذا؟

* أليس بذي الحجة؟

فتنوع الجمل في هذا الحديث له تأثير على المخاطب فيُفَعل العملية التواصلية بين المرسل والمستقبل.

ومن الملاحظ كذلك على نص الحديث استعمل حرف الجواب "بلى" الذي يقول فيه علماء النحو أن أصلها كان رجوعا محضا عن الجحد، إذا قالوا: ما قال عبد الله بل زيد فكانت "بل" كلمة عطف ورجوع لا يصلح الوقوف عليه، فزادوا فيها ألفا يصلح فيها الوقوف عليه، ويكون رجوعا عن الجحد فقط وإقرارا بالفعل الذي بعد الجحد فقالوا: "بلى" دلت على معنى الإقرار والإنعام فهي نائبة عن جملة [1].

كما أنه استعان باسم الإشارة "هذا" في مواقع عديدة ليبين الشيء المقصود أو المعني بالكلام.

فهذا الحديث من الأحاديث النبوية التي تعددت فيها الأساليب وتنوعت وذلك وفقا للمقام الذي قيلت فيه ألا وهو مقام إلزام المسلمين بالإلتزام لأوامر الله عز وجل فرسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبة في حجة الوداع، التي جاءت بعد أن أكمل الرسول (ص) للناس أمور الرسالة رأى أن هناك بعض الأمور التي على العباد التقيد بها منها احترام فضل الأشهر الحرم ولاحظ دون شك أن هناك حاجة إلى تأكيدها والإشهاد

([1]) أبو زكريا يحي بن زياد الفراء: معاني القرآن، دار عالم الكتب، ج1، ط3، 1983م، ص53.

عليها فألزم الشاهد تبليغ الغائب نظرا لضرورة الأمر، فالناس في هذه الأيام المعدودة تحرم عليهم أموالهم ودماءهم وأعراضهم.

أما عن اتجاه المطابقة في هذا الحديث من العالم إلى الكلمات، والهدف التداولي هو الاهتمام بما لهذه الأشهر الحرم من فضل والالتزام بأوامر الله عز وجل ورسوله الكريم صلى الله عليه وسلم حتى تتفادى الوقوع في المحرمات ومن ثم حصاد الأجر والثواب.

الحديث الرابع:

(حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري قال: أخبرني سعيد بن المسيب وأبو سلمة بن عبد الرحمن أن عبد الله بن عمرو قال: أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أني أقول: والله لأصومن النهار ولأقومن الليل ما عشت، فقلت له: قد قلته بأبي أنت وأمي قال: "فإنك لا تستطيع ذلك فصم وأفطر وقم ونم، وصم من الشهر ثلاثة أيام فإن الحسنة بعشر أمثالها وذلك مثل صيام الدهر".

قلت: إني أطيق أفضل من ذلك، قال: فصم يوما وأفطر يومين، قلت: إني أطيق أفضل من ذلك، قال: فصم يوما وأفطر يوما فذلك صيام داوود عليه السلام وهو أفضل الصيام، فقلت: إني أطيق أفضل من ذلك: فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا أفضل من ذلك") [1].

يندرج نص هذا الحديث ضمن تصنيف سيرل في صنف الإلتزاميات.

فنجد الحديث يزخر بمجموعة من الأفعال على اختلاف أزمنتها، فنجد من الماضي: قلت، أطيق، والمضارع فجاء متمثل في: تستطيع، يقول، أما عن الأمر فقد نال الحظ الأوفر فنجده فيما يلي: صم (3 مرات)، أفطر (3 مرات)، نَمْ، قُمْ، وهو المناسب لهذا الصنف.

وإذا ما ألقينا نظرة حول جمل نص الحديث نجده حافل بالجمل الإنشائية فقد ورد منها:

* القسم: والله لأصومن النهار، والقسم من أساليب الحلف واليمين، فمنه الإستعطافي وغير الإستعطافي هذا ما قسمه النحاة[2].

([1]) صحيح البخاري: كتاب الصوم، باب صوم الدهر، 1976.

([2]) عباس حسن: النحو الوافي، دار المعارف، القاهرة، ج2، (د، ط)، 1963م، ص362.

ومن الأساليب الإنشائية نجد الأمر في قوله: فصم، وأفطر، وقم ونم، صم (3مرات)، أفطر (3 مرات).

ومن الملاحظ على هذه الأفعال –أفعال الأمر– فيها طلب متبوع برأفة ورحمة من خير البرية محمد صلى الله عليه وسلم واهتمامه لأمر أمته، مما نجده يطلب من الصوم مرة والإفطار مرة أخرى وذلك بغرض تقبل السامع أو المخاطب للأمر المطلوب منه، مع العلم أن الأمر هو طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام[1].

ومن الأساليب الخبرية التوكيد باللام متبوعة بفعل مضارع به نون التوكيد الثقيلة كلها أدوات غرضها تثبيت التأكيد على الصوم.

والطاغي على نص الحديث هذا هو أسلوب الحوار والذي دار بين المخاطَب والمخاطِب من سؤال متبوع بجواب عنه طلبا للمعرفة لذلك نجد هذا الأسلوب قام بدور فعال في إطلاق العنان للعقل بالمناقشة والتفكير وإعطاء رأي ولكن بأسلوب راقي وأخلاقي وهذا ما يدعو إليه خير المرسلين في كثير من المواقف والمواضع.

والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في حواره هذا مع عبد الله بن عمرو يسعى من خلال خطابه إلى إقناعه بما يراه ويعلمه إلى ما فيه الفائدة والأجر، بحيث يرى أن ما ألزم نفسه به فيه تعب ومشقة له وأن للنفس حقا على صاحبها لهذا عليه أن يوازن بين الروح والجسد وبين الدنيا ومتاعبها وبين الآخرة وثوابها.

فالصحابة رضوان الله عليهم يتسابقون فيما بينهم لنيل الأجر والثواب ويقومون في بعض الأحيان بما فيه عناء لأنفسهم مقابل التباهي وحصاد الأجر، إلا أن رسول لله صلى الله عليه وسلم له منهج تربوي تعليمي هادف في تبليغ رسالته لهذا يدعو إلى

([1]) أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مطبعة وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، العراق، ط2، 1999م، ص120.

الموازنة بين الراحة وتحمل الشدائد، ووضع النفس وسط لا تقصير ولا إفراط مع مراعاتها ففي منهج الرسول صلى الله عليه وسلم بلاغة وحكمة.

واتجاه المطابقة هنا من العالم إلى الكلام والغرض الإنجازي هو التزام بالأجر لمن صام الدهر أو صام صيام داوود عليه الصلاة والسلام.

أما عن الغرض التداولي من هذا الحديث هو اهتمام بالنفس البشرية مع إعطائها حقها مع القيام بواجبها لمرضاة الله عز وجل وتبيان أهمية الصوم ومدى الثواب على القائم به.

4. التعبيريات:

الحديث الأول:

(حدثنا محمد بن المثنى قال: حدثنا عبد الوهاب الثقفي قال: حدثنا أيوب عن أبي قلابة عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ثلاث من كُنّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الفكر كما يكره أن يُقذف في النار") [1].

إن نص الحديث الذي بين أيدينا يمكن تصنيفه ضمن التعبيريات أو البوحيات Expressifs.

ونجد من أفعال هذا الحديث ما دل على الماضي مثل: وجد، ومن المضارع نجد ما يلي: يكون، يحب، يكره، يعود، يقذف.

ومن الملاحظ على نص الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد ابتدأ خطابه بمجمل ثم فصل في المسألة وقام بتوضيح مبهم، وهو أسلوب يبعث الطمأنينة في نفس السامع أو متلقي الخطاب وذلك في قوله صلى الله عليه وسلم: "ثلاث من كُنّ فيه وجد حلوة الإيمان"، فالسامع لهذه المقدمة والتي بطبعها تساعد على إحياء عنصر التشويق تدفع به إلى طرح مجموعة من التساؤلات.

ثم يردف الرسول صلى الله عليه ويسلم شرح وتفصيل ما هو مجمل والمتمثل في:

([1]) صحيح البخاري: كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، 16.

* جعل الله عز وجل ورسوله الأمين صلى الله عليه وسلم أحب إليه مما سواهما وهذا ما ورد في قوله: "أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما".

* أن يكون حبه خالص لرب العباد فلا ينتظر من وراء ذلك أجرا أو ثوابا سواء في الدنيا أو الآخرة هذا ما عبر عنه في قوله: "أن يحب المرء لا يحبه إلا لله".

* أن لا يرجع إلى الكفر بعدما تاب رب العباد عليه وأنقذه من عذاب نار جهنم فقد قال: "أن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار".

ومن الملاحظ في الأسلوب المتبع في شرح وتفصيل ما جاء مجملا في بدايته أنه استعمل الحرف "أن" ذات النون الخفيفة والتي يأتي بعدها غالبا فعل يقين[1].

والأفعال التي جاءت في الجمل بعد "أن" كلها تعبر عن المشاعر من حب وكره، فمن أدرك هذه المشاعر والأحاسيس تذوق طعم الإيمان وبكل ما يتصف به من حلاوة وشعور براحة نفسية لا أتضاهيها راحة.

فهذه الأفعال قد حققت الغرض الانجازي المتمثل في حسن التعبير عن حالات نفسية متنوعة تختلج نفس الإنسان، فالمؤمن الصادق في إيمانه يظهر من خلال انفعالاته المختلفة.

والهدف التداولي الذي تضمنه نص الحديث تتجلى في محاولة الوصول إلى درجة عالية من الإيمان وتذوق حلاوة الراحة والطمأنينة والسكينة التي يشعر بها كل مؤمن طائع لأوامر خالقه.

([1]) علي جاسم سليمان: موسوعة معاني الحروف العربية، دار أسامة للنشر، (د، ط)، 2003م، ص 35.

الحديث الثاني:

(حدثنا عثمان بن أبي شيبه حدثنا جرير عن الأعمش عن أبي صال عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تحاسد إلا في اثنين رجل آتاه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل والنهار يقول لو أوتيت مثل ما أوتي هذا لفعلت كما يفعل ورجل آتاه الله مالا ينفقه في حقه فيقول: لو أوتيت مثل ما أوتي لفعلت كما يفعل")[1].

حدثنا قتيبة حدثنا جرير بهذا.

نص هذا الحديث يعد من التعبيريات والتي بمعيار سيرل هي الأفعال التي تعبر عن حالة نفسية والتعبير عن المشاعر إزاء الواقع.

والمتأمل لنص هذا الحديث يجده يحفل بمجموعة من الأفعال نجد منها على صيغة الماضي ما يلي: آتاه (2 مرتين)، أوتيت (2 مرتين)، فعلت (2 مرتين)، والمضارع نجد: يتلوه، يقول (2 مرتين)، يفعل، ينفقه.

أما على مستوى الجمل فنجد من الجمل الإنشائية:

* النهي: "لا تحاسد إلا في اثنين" جملة ابتدأت بمجل ألا وهو النهي عن الحسد لأنه ليس من شيم ولا من أخلاق المسلم وبعدها مباشرة أتبعه بأسلوب الاستثناء بالأداة "إلا" لينتقل من المجمل إلى التفصيل والشرح فأخرج من دائرة الحسد أو التحاسد ما يمكن أن يكون جائز والجائز في نص هذه الحديث هو تمني تلاوة القرآن بالليل والنهار وكذلك الإنفاق في سبيل الله عز وجل.

([1]) صحيح البخاري: كتاب التمني، باب تمني القرآن والعلم، 7636.

وأسلوب الترتيب هذا له غرض تداولي يتمثل في لفت انتباه السامع لما يقول وقد تجلى ذلك في قوله: "لا تحاسد إلا في اثنين" فالسامع حين التلفظ بهذا الكلام تختلجه مجموعة من الأسئلة والاحتمالات التي قد تدخل حيز الاستثناء.

فالحسد صفة ذميمة نهانا عنها الرسول صلى الله عليه وسلم عليها كما أنها شعور سيئ يجعل صاحبه لا يحمد عقباه.

* الشرط: في قوله: "لو أتيت مثل ما أوتي هذا لفعلت كما يفعل" جملة شرطية استعملت فيها الأداة لو وهي حرف للتمني وجاءت متبوعة بجملة جواب الشرط مباشرة دون وجود فاصل بين كلتا الجملتين وذلك لتسريع وتعجيل القيام بالفعل.

كما أننا نجد جملة جواب الشرط جاءت مؤكدة بحرف التوكيد "اللام" وذلك لتأكيد القيام بالفعل إن توفر الشرط.

ومن الملاحظ كذلك على نص الحديث تكرار الجملة الشرطية مرتين والمتمثلة فيما يلي:

* "لو أوتيت مثل ما أوتي لفعلت كما يفعل" والتكرار وسيلة بلاغية مهمة لها غرض تربوي هادف وهو التأكيد على القول وكذلك تقوية الفعل لإنجازي.

فالمتكلم في نص الحديث يؤكد تمنيه أحد المنزلتين: منزلة رجل يتلو القرآن آناء الليل والنهار، ومنزلة رجل ينفق ماله في سبيل الله تعالى.

وهذا ما يحاول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم تأكيده وهو التعبير عن الحالة النفسية لهذين الرجلين وتمني فعل مثلما يفعلان وهذا ما يطمح إليه كل مسلم لنيل رضاء الله عز وجل، أما حققه لنا الحديث من غاية تداولية فتمثل في حثنا على عدم التحاسد إلا ما فيه من راحة وارتياح وثواب فما أجمله من شعور أن تعمل عملا خالصا لله تعالى.

الحديث الثالث:

(حدثنا النعمان حدثنا حماد بن زيد عن يحي عن محمد بن يحيى بن حبان عن أنس بن مالك رضي الله عنه وأرضاه قال حدثتني أم حرام أن النبي صلى الله عليه وسلم: نام يوما في بيتها فاستيقظ وهو يضحك قالت: "يا رسول الله ما يضحكك؟" قال: "عجبت من قوم من أمتي يركبون البحر كالملوك على الأسرة" فقلت: "يا رسول الله أدع الله أن يجعلني منهم"، فقال: "أنت منهم" ثم نام فاستيقظ وهو يضحك فقال: مثل ذلك مرتين أو ثلاث قلت: "يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم" فيقول: "أنت من الأولين" فتزوج بها عبادة بن الصامت فخرج بها إلى الغزو فلما رجعت قربت دابة لتركبها فوقعت فاندّقت عنقها") [1].

يعتبر هذا الحديث من صنف التعبيريات.

والمتمعن في أفعاله نجد منها على صيغة الماضي ما يلي: قال، قالت، قلت (2مرتين)، نام، تزوج، خرج ، رجعت، وقعت، اندقت، استيقظ، عجبت، أما على صيغة المضارع نجد: يضحك (2 مرتين) ، يركبون، يجعلني (2 مرتين)، تركبها، ومن صيغة الأمر نجد: أدع (2 مرتين)، مع أن الأمر هو طلب القيام بفعل هنا ودال على الالتماس والطلب[2].

لأنه جاء من أم حرام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي تلتمس منه الدعاء لها.

ومن الملاحظ على مستوى الجمل أنها تراوحت بين الخبرية التقريرية والإنشائية.

([1]) صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب ركوب البحر، 6894-6895.

([2]) عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص341.

فمن الخبرية ما يلي:

* نام يوما في بيتها فاستيقظ وهو يضحك.

* قال ذلك مرتين أو ثلاثا.

* تزوجها عبادة وخرج بها إلى الغزو..

أما من الإنشائية نجد ما يلي:

* النداء: "يا رسول الله" وقد جاء بحرف النداء "يا" وهو النداء البعيد كما أنه قد ينادى به للقريب توكيدا[1]، واستعمل هنا بغرض لفت انتباه السامع وتنبيه له للإصغاء، كما أنه –أي النداء– تكرر ثلاث مرات وفي تكراره تحبيب لذكره صلى الله عليه وسلم ومناداته.

* الاستفهام: "ما يضحكك؟" مع العلم أن للاستفهام دور هام في اكتساب المعارف وتوسيع المدارك وتحقيق الفائدة فأم حرام الصحابية الجليلة هنا تطلب الفهم والمعرفة لذلك فهي تسأل عن سبب ضحك الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم.

بعدها مباشرة تصدر جواب الرسول الكريم (ص) أسلوب التعجب فجاء على صيغة فعل التعجب "عجبت" وهو أسلوب نداء يقصد به التعجب من شيء عظيم ويستعمل لتوضيح حالة نفسية تتعلق بالمتكلم، وقد جاء هذا الأسلوب للتنويه إلى شأن طائفة من أمة محمد (ص) يركبون البحر "بحر الجهاد في سبيله" دون الخوف من العاقبة وهو لَأمر يثير إعجاب خير خلق الله محمد صلى الله عليه وسلم، فعبر عن حالة الإعجاب بالضحك، وهو فعل انجازي دال على مشاعر الفرحة التي بداخل نفس رسول الله (ص) والغرض الإنجازي من التعجب هو الفرح والسرور أي التعبير عن المشاعر

([1]) ابن هشام الأنصاري: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1، ط1، 1998م/1418هـ، ص704.

الذي تختلج نفس المجاهد في سبيل الله ومشاعر الرسول صلى الله عليه وسلم اتجاه "المجاهد".

ولهذا نجد الصحابية الجليلة "أم حرام" قد طلبت من الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أن تكون من هذه الطائفة والدعاء لها بشرف هذه المنزلة، فما كان لها إلا ما ابتغت وماتت وهي عائدة من غزو، ثم كررت طلبها هذا وكان غرض التكرار التأكيد على رغبتها في الاستشهاد في سبيل الله.

والملاحظة في نص الحديث استعمال الحوار الذي دار بين كل من رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابية الجليلة أم حرام والحوار يرتكز على قاعدة تواصلية هامة غايتها إبلاغ الناس أن الجهاد في سبيل الله ليس حكرا على الرجال وإنما يمكن للنساء المشاركة، وفيه حث ودعوة للجهاد لما فيه من ثواب وهذا ما جعل الصحابية تلح في التماسها من رسول الله لخروجها معهم في إحدى غزواته.

أما عن اتجاه المطابقة في نص هذا الحديث فيرى سيرل أن هذا الصنف من التصنيفات ليس له اتجاه مطابقة لأن التعبيريات ما هي إلا تعبير عن حالة نفسية تتعلق بالمتكلم، فرسول الله عليه وسلم عندما تعجب من أمر طائفة من أمته ظهر السرور والفرح على وجهه فأنجز فعل الضحك

وشرط الإخلاص هنا لا شك فيه فهو الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم، وفي إعجابه وفرحه بهذه الطائفة دعوة لنا للجهاد في سبيل الله عز وجل لما له من فضل عند رب العباد.

الحديث الرابع:

(حدثني يوسف بن موسى حدثنا جرير عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يقول الله: يا آدم فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك" قال: "يقول أخرج بعث النار" قال:" وما بعث النار؟" قال: "من كل ألف تسع مائة وتسعة وتسعين فذاك حين شيب الصغير.."، فاشتد ذلك عليهم فقالوا: "يا رسول الله أينا ذلك الرجل؟" قال: "أبشروا فإن من يأجوج ومأجوج ألفا ومنكم رجل" ثم قال: "والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنة" قال: "فحمدنا الله وكبرنا" ثم قال: "والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا شطر أهل الجنة إن مثلكم في الأمم كمثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود أو الرقمة في ذراع الحمار") [1].

ورد في هذا الحديث من الأفعال: قال: (7 مرات)، قالوا، اشتد، حمدنا، كبرنا، وهي على صيغة الماضي أما المضارع فقد ورد ما يلي: يقول (2 مرتين)، تكونوا، أطمع، يشيب، وعلى صيغة الأمر نجد: أخرج، أبشروا.

وإذا ألقينا نظرة حول الجمل نجد أغلبها جملا إنشائية وهي تتمثل في قوله:

* النداء: يا آدم، يا رسول الله، وفيه دعوة المخاطب وتنبيه للإصغاء.

* الاستفهام: ما بعث النار؟ أينا ذلك الرجل؟

* وفي الاستفهام طلب المعرفة فالمتلقين لهذا الخبر يتساءلون عن أهل النار وما إن كانوا معهم خوفا من عاقبة الأمور.

([1]) صحيح البخاري: كتاب الرقاق، باب قوله عز وجل: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾، سورة الحج الآية 1، 6530.

* القسم: والذي نفسي بيده (2 مرتين) وقد جاء جواب القسم مؤكد بمؤكدين "إن" "واللام" وذلك لتأكيد خوف الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم على أمته وبالتالي طمعه أن تدخل أمته الجنة.

ومن الملاحظ أنه استهل الخطاب بلفظة "أبشروا وهو أمر به دعوة إلى الفرح والشعور بالسرور، فهو حينها يهنئهم بأن منهم رجلا ومن يأجوج ومأجوج تسعة وتسعين في أهل النار وذلك لمنزلتهم الرفيعة يوم القيامة عند رب العباد.

فقد استعمل هذا الأسلوب كذلك لتوضيح حالة نفسية لدى المتكلم فالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم فرح بشأن أمته.

ثم أتبع ذلك بقوله "فحمدنا وكبرنا" وفيه الفرحة بادية على السامعين.

وقد جاء بهذه الأساليب تنويها لأمر جلل وهو رضاء الله عز وجل على عباده ورحمته التي وسعت كل شيء ومن ثمة رغبة الرسول صلى الله عليه وسلم وحبا في أمته جعلته يطمع أن تحتل ثلث الجنة أو شطرها.

وليبين فضل أمته على سائر الأمم شبهها بالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود، وقد استعمل هذا التشبيه الحسي ليقرب المعنى ويثبت الحقائق ويؤثر في نفوس السامعين.

أما عن أسلوب الحوار المتبع في نص هذا الحديث فهو وسيلة تداولية تربوية تسعى إلى كشف مكامن المعرفة والادراكات.

وهذه الحالات النفسية من بشرى وحمد فتكبير ما هي إلا انفعالات تبدو على المخاطب أو السامع اتجاه الخبر الملقى عليه.

وهذه الإنفعالات ليس لها اتجاه مطابقة فهي تعبير شخصي خالص، وفي هذا الحديث غاية تداولية مفادها الفرح والسرور ثم الحمد والتكبير لفضل الله عز وجل والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم عليهم وتفضيلهم على سائر الأمم.

الحديث الخامس:

(حدثنا عبدان أخبرنا عبد الله أخبرنا معمر ويونس عن الزهري... أن عمرو بن عوف قال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا عبيدة ابن الجراح إلى البحرين يأتي بجزيتها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو صالح أهل البحرين وأمر عليهم العلاء بن الحضرمي فقدم أبو عبيدة بمال من البحرين فسمعت الأنصار بقدوم أبي عبيدة فوافوا صلاة الفجر مع النبي (ص) فلما انصرف تعرضوا له فتبسم الرسول (ص) حين رآهم ثم قال: "أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشيء" قالوا: "أجل يا رسول الله" قال: "فأبشروا وأملوا ما يسركم فو الله ما الفقر أخشى عليكم ولكني أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم") [1].

ورد في هذا الحديث من الأفعال على صيغة الماضي: بسطت، تنافسوها، أهلكتهم، أما على صيغة المضارع فنجد: أخشى (2 مرتين)، بسط، تنافسوها، تهلكهم، يسركم، وعلى صيغة الأمر نجد: كل من: أبشروا، أملوا.

ومن الملاحظ على نص الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد استهل الحديث بلفظة "أبشروا" وهو فعل إنجازي دال على مشاعر الفرحة والسرور، وفيه دعوة للاستبشار وتنويه إلى شيء عظيم وبشرى سارة.

([1]) صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب ، 4015.

ثم أردف فعل الأمر بفعل أمر ثان "أملوا" وهو فعل انجازي كذلك دال على حالة نفسية، وفي هذا الترتيب غرض تداولي وهو تأكيد الحالة الانفعالية وهذا يتماشى والمقام.

فالأنصار ها هنا يعانون من ضائقة مالية، وخوفا من أن ينقادوا وراء الأمور الدنيوية عبر الرسول صلى الله عليه وسلم في خطابه أنه لا يخشى عليهم من الفقر وإنما يخشى كلهم من أن ينسوا الآخرة ومن ثم تبسط الدنيا عليهم كما بسطت على الأمم السابقة.

أما إذا أمعنا في النظر في جمل نص الحديث نجدها تراوحت بين الخبرية التقريرية والإنشائية والتي نجد منها:

* النفي: ما الفقر أخشى عليكم.

* الأمر: في أبشروا، أملوا.

* القسم: والله.

وبلاغة من الرسول صلى الله عليه وسلم فقد حذرهم من الاهتمام والسعي وراء الأمور الدنيوية ونسيان أمور الآخرة، لهذا دعاهم للاستبشار والتمسك بالأمل، فالمؤمن تعترضه أحوال في الدنيا منها ما يثير انفعالات الحزن ومنها ما يثير مشاعر الفرحة والسرور.

ولكن عليه التحلي بالصبر والعزيمة لتحمل الشدائد، لهذا نجده ينوههم إلى ما حدث للأمم السالفة من بسط الدنيا عليهم وهلاكهم.

وهذا هو الهدف التداولي الذي يسعر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى إبلاغه من خلال نص هذا الحديث والمقام هذا.

أما عن اتجاه المطابقة فهو اتجاه فارع على رأي سيرل فقد يغني عنه شرط الإخلاص الذي يؤول إلى إنجاح الفعل، وقوته الانجازية تضمنتها الجملة "أبشروا وأملوا ما يسركم".

5. الإعلانيات:

الحديث الأول:

(حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا هشام أخبرنا محمد عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي سعيد قال: بيْنا النبي صلى لله عليه وسلم يقسم جاء عبد الله بن ذي الخويصرة التميمي فقال: "اعدل يا رسول الله" فقال: "ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل" قال عمر بن الخطاب: "دعني أضرب عنقه"، فقال: "دعه فإن له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامهم مع صيامه يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرِّمية ينظر في قِذَذِهِ فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر في نَصْلِه فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر في رصافه فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر في نَصِيِّهِ فلا يوجد فيه شيء، قد سبق الفرث والدم، آيتهم رجل إحدى يديه أو قال: ثديه مثل ثدي المرأة أو قال: مثل البضعة تدردر يخرجون على حين فرقة من الناس"، قال أبو سعيد: "أشهد سمعت من النبي صلى الله عليه وسلم وأشهد أن عليا قتلهم وأنا معه جيء بالرجل على النعت الذي نعته النبي صلى الله عليه وسلم" قال: فنزلت فيه قوله تعالى: "ومنهم من يلمزك في الصدقات") [1].

يمكن إدراج هذا الحديث في باب الإعلانيات وقد غلب على نص هذا الحديث أفعال على صيغة المضارع فنجد منها: يعدل، يقسم، أضرب، يحقر، يمرقون، يمرق، ينظر (4 مرات)، يوجد (4 مرات)، تدردر، يخرجون، وهو زمن دال على الحركة

([1]) صحيح البخاري: كتاب استتابة المرتدين، باب من ترك قتال الخوارج للتألف وأن لا ينفر الناس عنه، 6933.

والتجدد مع الاستمرار، أما الماضي فنجده يتمثل في فعلين هما: قال، سبق، والأمر يظهر في قوله: اعدل، دعني، دعه.، ففي الفعلين "اعدل، دعني" التماس بطلب العدل والترك لأنه صادر من عبد الله بن ذي الخويصرة التميمي والصحابي عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى رسول الله (ص)، أما الفعل "دعه" ففيه أمر بترك الرجل وشأنه فهو صادر من الرسول صلى الله عليه وسلم للصحابي عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

أما على مستوى الجمل فقد زاوج نص الحديث بين الجمل الخبرية والتي نجد منها:

* إن له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاته.

* يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية.

* يخرجون على حين فرقة من الناس.

وبين الجمل الإنشائية والتي نجد منها:

* الأمر: اعدل يا رسول الله.

* دعني أضرب عنقه.

* دعه..

وفي هذا الأسلوب الأمري غرض انجازي والذي يدل على طلب ترك الخوارج وعدم مقاتلهم وقد استعان بمجموعة من التشبيهات لينفر الصحابة منهم.

فقال: "آيتهم رجل إحدى يديه أو ثدييه مثل ثدي المرآة" فقد شبهه بالمرأة والمسلم لا يقاتل امرأة، أما عن قول الصحابي أبو سعيد: "أشهد سمعت من النبي صلى الله عليه وسلم وأشهد أن عليا قتلهم وأنا معه" ففيه إعلان بالشهادة عن قول الرسول الكريم وعن فعل الصحابي علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ومشاركته في الفعل رسول صلى الله

عليه وسلم عندما تلفظ بقوله "دعه"، فالصحابي أبو سعيد عندما تلفظ بقوله هذا قد أنجز فعلا وقد كرر ذلك مرتين بحيث يوافق أو يتطابق محتواه القضوي مع العالم الخارجي.

واتجاه المطابقة فيه من الكلمات إلى العالم، ومن العام إلى الكلمات.

ونص الحديث هذا قد أنجز لنا تداولية مفادها عدم ضرب أو تعذيب المرتدين والخوارج فالله هو معذبهم وله حق القصاص منهم.

الحديث الثاني:

(حدثنا موسى بن إسماعيل قال: حدثنا عبد الواحد بن زياد، قال: حدثنا عمارة بن القعقاع قال: حدثنا أبو زرعة: قال: حدثنا أبو هريرة رضي الله عنه وأرضاه قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسكت بين التكبير وبين القراءة إسكاتة" قال: "أحسبه قال هُنيَة" فقلت: "بأبي وأمي يا رسول الله إسكاتك بين التكبير والقراءة ما تقول؟" قال: "أقول: اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم نقني من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسل خطاياي بالثلج والبرد") [1].

إن هذا الحديث الذي بين أيدنا يمكن عده ضمن تصنيف الاعلانيات وذلك وفقا لنصه.

فنص الحديث هذا يزخر بالأفعال فنجد منها على صيغة الماضي: قال، قلت، باعدت، أما المضارع فنجد: يسكت، تقول، أقول، ينقى، ومن صيغة الأمر نجد كل من: باعد، نقني، اغسل، وفي هذه الأوامر التماس من الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وطلب البعد عن الخطايا والتنقية من الذنوب والاغتسال منها فهو يدعو ربه عز وجل لتقبل طلباته فيقول: اللهم، والأمر يخرج إلى أغراض أخرى تفهم من سياق الكلام ومن بينها الدعاء الواضح والجلي من نص الحديث.

أما على مستوى الجمل فتغلب عليها الأساليب الإنشائية من:

* القسم: بأبي وأمي.

* النداء: يا رسول الله استعمل "يا" حرف النداء للبعيد لتحبيب ذكره.

([1]) صحيح البخاري: كتاب الآذان باب ما يقول بعد التكبير، 744.

* الأمر: باعد بيني وبين خطاياي، نقني من الخطايا، اغسل خطاياي، ولها دلالات أخرى هي الدعاء.

* الاستفهام: ما تقول؟، وفيه طلب الفهم والمعرفة.

ومن الملاحظ على هذا النص استعمال أسلوب الحوار والذي هو وسيلة من وسائل طلب المعرفة والمدارك، وكذلك استعمال أو الاستعانة بمجموعة من التشبيهات الحسية لتقريب الحقائق والمعاني، فقد استعمل في تشبيهاته بعض الألفاظ التي تحمل معان دقيقة: الخطايا المشرق والمغرب والبعد بينهما بعد السماء عن الأرض، فقد طلب إبعاده عن الخطايا مسافة غير قريبة، وكذلك الثوب الأبيض دلالة على النقاء والصفاء أما الدنس فهو الوسخ وكذلك الماء والثلج والبرد.

والملاحظ أن بين كل لفظة ولفظة أخرى يوجد نوع من المفارقة والتضاد.

وكذلك قوله: "أقول: اللهم ....." ففيه إعلان عن القيام بفعل معين وقول معين كذلك وبهذا يكون الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم من خلال إعلانه عن قوله هذا قد علمنا طريقة من طرق الدعاء وذلك بين التكبير والقراءة وهذا الهدف التداولي التي يرمي إليه خير خلق الله عز وجل.

واتجاه المطابقة هنا يكون من الكلمات إلى العالم، ومن العالم إلى الكلمات، كما أن سيد البشرية لا يحتاج إلى شرط الإخلاص فهو الصادق المصدوق، الكريم الأمين صلى الله عليه وسلم.

الحديث الثالث:

(حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا سفيان عن عمر وعن أبي صالح السمان عن أبي هريرة رضي الله عنه وأرضاه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم: رجل حلف على سلعة لقد أعطى به أكثر مما أعطى وهو كاذب، ورجل حلف على يمين كاذبة بعد العصر ليقتطع بها مال رجل مسلم، ورجل منع فضل ماء" فيقول الله: "اليوم أمنعك فضلي كما منعت فضل ما لم تعمل يداك") [1].

يندرج هذا الحديث ضمن صنف الإعلانيات.

ويسبح في نص هذا الحديث مجموعة من الأفعال نجد من الماضي: حلف (2مرتين)، أعطى (2 مرتين)، منع، منعت، قال، أما المضارع فنجد: كل من يكلمهم، ينظر، يقتطع، يقول، أمنعك، تعمل، وقد انعدم فيه الأمر.

وإذا تأملنا الجمل التي يتشكل منها نص هذا الحديث نجدها منوعة بين الجمل الخبرية والتي تتمثل في قوله:

* رجل حلف على سلعة.

* أعطى بها أكثر مما أعطى وهو كاذب.

* رجل حلف على يمين.

* لا يكلمهم الله يوم القيامة.

* لم تعمل.

* لا ينظر.

([1]) صحيح البخاري: كتاب الشرب والمساقاة، باب من رأى أن صاحب الحوض والقربة أحق بمائه، 2369.

أما على مستوى الأساليب فنجد أسلوب تفصيل وشرح المجمل، فقد ابتدأ نص الحديث هذا بمجمل يتمثل في قوله: "ثلاث لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم"، فالمستمع لهذا النص تتبادر في ذهنه مجموعة من الاقتراحات التي يفترضها من بين هذه الزمر التي حددها الله عز وجل ومنعهم من الكلام معه أو حتى النظر إليه، وهذا ما يجعل من الخطاب مشوقا ودافعا إلى استعمال الفكر والقيام ببعض المجهود الفكري إزاء الثلاثة وبعدها مباشرة يقطع تفكير المستمع أو المتلقي ويعطيه التفصيل فيقوم بشرح المجمل والمبهم، فيبدأ بالبسط لتنقل إلى البسيط ويصل في آخر الأقسام وأعلاها وأعظمها من يمنع رزق الله والمتمثل في فضل الماء وذلك لما له من فضل عظيم.

أما في قوله: "فيقول الله: اليوم أمنعك فضلي" ففيه إعلان لله عز وجل بمنع رحمته وفضله لمن منع فضل الماء والسقي لكل المخلوقات دون تحديد وقد ورد في هذا كثير من الأحاديث.

ومنع الفضل كذلك لكل حلاف كذاب منع مال رجل مسلم، ولكل حلاف كذلك حلف بغرض الربح فلا ربح مع معصية الله، وبمجرد تلفظه "عز وجل" بلفظة "أمنعك" فقد أنجز فعلا كلاميا يتطابق محتواه مع العالم الخارجي والغرض التداولي الذي يسعى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم إلى إبلاغه يتمثل في إعلان المنع من رب العباد على الحالات الثلاثة.

واتجاه المطابقة من الكلمات إلى العالم ومن العالم إلى الكلمات.

فالرسول صلى الله عليه وسلم من خلال حديثه هذا يعلن إعلان منع الله عز وجل لفضله لكل مانع لفضل من أفضاله.

الحديث الرابع:

(حدثنا قتيبة حدثنا يعقوب عن عمرو عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي طلحة: "إلتمس غلاما من غلمانكم يخدمني حتى أخرج إلى خيبر" فخرج بي أبو طلحة مردفي وأنا غلام راهقت الحلم فكنت أخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل فكنت أسمعه يقول: "اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والبخل والجبن وضلع الدين وغلبه الرجال" ثم قدمنا خيبر فلما فتح الله عليه الحصن ذكر له جمال صفية بنت حيي أخطب وقد قتل زوجها وكانت عروسا فاصطفاها رسول الله صلى عليه وسلم لنفسه فخرج بها (...) حتى إذا أشرفنا على المدينة نظر إلى أحد فقال: "هذا جبل نحبه ويحبنا".

ثم نظر إلى المدينة فقال: "اللهم إني أحرم ما بين لابتيها بمثل ما حرم إبراهيم مكة، اللهم بارك لهم في مدهم وصاعهم") [1].

نجد في أفعال هذا الحديث من الماضي: قال، خرج (2 مرتين)، نزل، كنت، فتح ذكر، قتل اصطفاها، ومن المضارع نجد: يخدمني، أخرج، أحرم، أعوذ، أخدم، أما الأمر فنجد منه: اِلتمس، بارك، وفيه اِلتماس من الرسول صلى الله عليه وسلم لرب العباد عز وجل بطلب التحريم والمباركة.

وقد غلب على هذه الأزمنة المختلفة زمن الماضي لأنه يناسب مقام السرد، وتقرير الحقائق وتثبيتها.

أما على مستوى الجمل فنجدها منوعة بين الخبرية والإنشائية، ومن هذه الأخيرة نجد:

([1]) صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب من غزا بصبي للخدمة، 6893.

* الأمر: "اِلتمس" وفيه طلب برفق ولين من الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم إلى الصحابي أبو طلحة، "بارك" وفيه اِلتماس من الرسول صلى الله عليه وسلم لرب العباد عز وجل وذلك بطلب المباركة لهم "أهل المدينة".

* الدعاء: "اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، العجز والكسل، البخل والجبن وضلع الدين وغلبة الرجال" وفيه إعلان بطلب إعانة الله تعالى لرسوله الكريم صلى الله عليه وسلم على (الحزن والهم، العجز والكسل، البخل والجبن، الدين وغلبة الرجال).

وفي قوله كذلك: "اللهم إني أحرم..." أسلوب له غرض انجازي حقيقته تكمن في الفعل "أحرم" الذي يدل على تحريم الرسول صلى الله عليه وسلم، ما بين لابتي المدينة أو طرفيها.

وإنما استعمل هذا الأسلوب لتحفيز الناس من أهل المدينة على الجهاد في سبيل الله عز وجل ونيل مباركة الله تعالى لهم في مدهم وصاعهم، وقد شبه تحريمه هذا بتحريم سيدنا إبراهيم لمكة، مع أن التحريم يكون من الله عز وجل ولمن اصطفاهم من بعده لهذا جاء في قالب الدعاء في قوله "اللهم..." وهو أسلوب فيه إغراء للمسلمين.

واتجاه المطابقة في هذا النوع من التصنيفات اتجاه مزدوج أي من الكلمات إلى العالم، ومن العالم إلى الكلمات وهو لا يحتاج إلى شرط إخلاص.

الحديث الخامس:

(حدثنا علي حدثنا سفيان عن الأعمش عن أبي وائل قال: قيل لأسامة: "لو أتيت فلان فكلمته" قال: "إنكم لترون أني لا أكلمه إلا أسمعكم إني أكلمه في السر دون أن أفتح بابا لا أكون أول من فتحه ولا أقول لرجل أن كان علي أميرا إنه خير الناس بعد شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم" قالوا: "وما سمعته يقول" قال: سمعته يقول: "يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه في النار فيدور كما يدور الحمار برحاه فيجتمع أهل النار عليه" فيقولون: "أي فلان ما شأنك أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟" قال: "كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه") [1].

ورد في نص هذا الحديث من الأفعال ما جاء على صيغة الماضي: كنت، قال، سمعته، وعلى صيغة المضارع: يجاء، يجتمع، يدور (2 مرتين)، يقولون، تأمرنا، تنهانا، يقول، تندلق، آتيه، يلقى.

أما على مستوى الجمل فنجد منها الخبرية التقريرية التي تفيد الإخبار وإقرار الحقائق من مثل:

* يجاء بالرجل يوم القيامة.

* يلقى في النار فتندلق أقتابه في النار.

والجمل الإنشائية نجد منها:

* الاستفهام في قوله:

- ما شأنك؟.

([1]) صحيح البخاري: كتاب بدء الوحي، باب صفة أهل النار وأنها مخلوقة، 3267.

– أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟

وفي الاستفهام طلب للمعرفة وكسب للادراكات، وفيه أيضا حب الإملاء المعرفي فلا يبين السائل جهله بالموضوع وإنما للإطلاع والتأكيد على المعلومة.

وقد استعمل الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ليحقق الغرض الانجازي من أفعال هذا الحديث أسلوب الحوار أو المسائلة.

ومن الملاحظ في الأجوبة أن بها تكرارا للألفاظ والجمل بل المعلومة، فالتكرار غاية تداولية تتمثل في تأكيد المعلومة، وقد ورد ذلك في قولهم: "أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر"، وكانت الإجابة: "كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه".

كما استعان بأسلوب التمثيل لتقريب الحقيقة، فقد شبه المتخبط في نار جهنم بالحمار الذي يدور برحاه.

وهو أسلوب بليغ ودقيق في وصف أهل النار والحالة التي يكونون عليها.

والهدف الذي يرمي إليه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم هو الحث على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والسعي في ذلك.

واتجاه المطابقة في نص الحديث هذا من الكلمات إلى العالم، ومن العالم إلى الكلمات.

والحديث ينجز لنا تداولية مفادها السعي في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هذا ما أعلنه الرسول صلى الله عليه وسلم.

خلاصة:

إن الذي يبدو من خلال الفصل الثاني وما يمكن أن نلخص إليه:

* أن البعد التداولي واضح وجلي فنصوص الأحاديث النبوية الشريفة تضم مظاهر تداولية كثيرة.

* وأن للسياق الدور البارز في كشف وتحديد مقاصد المتكلمين.

* أن الرسول الكريم الأمين صلى الله عليه وسلم في خطاباته قد عمد إلى علم البيان عامة والتشبيه خاصة لخاصية في الإيضاح والتوضيح.

* أن التشبيهات والتمثيلات الحسية تحدد المعاني وتقرب الحقائق وتثبتها وتؤثر في نفوس السامعين لما لها من دقة التصوير، ووضوح المعاني وإيجاز الألفاظ.

* ورود أغلب التصنيفات التي صنفها سيرل للأفعال الكلامية ولكن الصنف الطاغي هو الاخباريات فالرسول صلى الله عليه وسلم عمد في تبليغه للرسالة إلى إفادة السامعين بما فيه الخير وما فيه الشر وعاقبته كل منهما، وعلى السامعين حسن الاختيار وتحمل العاقبة.

* أن استعمال الأمثال جاء لهدف تربوي هادف على اعتبار أن التشبيه أو التمثيل وسيلة من وائل الإقناع لوصول وبلوغ الهدف المنشود.